تأليف أليخاندرو كاسونا

ترجمة علي أشقر

الكلمة الثالثة

(مسرحية في ثلاثة فصول)

من منشورات اتحاد الكتاب العرب

١٩٩٧

تصميم الغلاف للفنان : أنور رجا

نبذة عن حياة
أليخاندرو كاسونا

اسمه وكنيته الحقيقيان: أليخاندرو رودريغيز ألباريس. ولد في بيسويّو (منطقة استورياس) في ٢٣ آذار ١٩٠٣.[1] وتوفي في مدريد في ١٧ أيلول ١٩٦٥. درس الفلسفة والآداب في جامعتي أوبييدو ومرسية. في عام ١٩٢٢ انتسب إلى مدرسة المعلمين العليا. واختياره لهذا الدراسة كان اقتداء بوالديه. فقد كانا، هما، معلمين أيضاً. في عام ١٩٢٨، توجّه إلى قرية بايّه دي آران معلماً في مدرسة ابتدائية. وخير ما يصنعه المرء في هذه القرية الجميلة من بلاد البيرنيه التأمل والمطالعة. وبدأ كاسونا هناك رسالته المسرحية بدافع من التسلية، فأسس مسرحاً للأطفال سماه "العصفورة الملونة". مسرح قام فيه ممثلون صغار بتمثيل مواضيع تقليدية بلهجة محلية. في ذلك التاريخ (١٩٢٩) أنتهى من كتابه /الحورية الخارجة من الماء/. ولم تعرض على المسرح إلا بعد خمس سنوات (١٩٣٤) بعد أن نال عليها جائزة لوبي دي بيغا وهي أكبر جائزة تمنح لعمل مسرحي في أسبانيا. ونال جائزة الأدب الوطنية عن كتابه "مختارات من الأساطير"، وقد كتبه بغرض جلب انتباه الأطفال إلى خير ما في تلك الأساطير وأخصبها.

---

(١) -تذكر غارسيا لوبيث في تاريخ الأدب الإسباني أن ولادته كانت عام ١٩٠٠ -المترجم-

في عام ١٩٣١، كلفته إدارة المهمات التربوية في وزارة التعليم العام، بإدارة "مسرح الشعب"، الموجه لتطوير برنامج هام وواسع لصالح المسرح؛ هدفه إيصال الأعمال المسرحية إلى أبسط القرى المحرومة من معرفة أحد أنبل الأجناس الأدبية.

عن تلك الأعوام الحافلة بالعمل والبهجة، كتب كاسونا: "خلال الأعوام الخمسة التي كان لي حظ قيادة تلك العصبة الطلابية، طفنا أكثر من ثلاثمائة قرية في قطر دائرة يمتد من سانبريا حتى مانتشا؛ ومن آراغون حتى ايستر امادورا. دائرة نقطة مركزها تقع في القفر القشتالي. قرى رأتنا نصل إلى عقر دورها وساحاتها وأفنيتها، وتنصب خشباتنا في الهواء الطلق، ونمثل ما أعددناه بعناية تجاه دهشة أهالي القرية.

إذا كنت أفخر بعمل جميل قمت به في حياتي، فقد كان ذلك العمل. وإذا كنت تعلمت شيئاً جيداً عن الشعب وعن المسرح، فهناك تعلمته. ثلاثمائة تمثيلية، أمام طلاب وجمهور ذي معرفة ولغة بدائيتين هي تجربة مُعلِّمة."

ومنذ ١٩٣٤، وبدافع من النجاح الفائق الذي لقيته /الحورية الخارجة من الماء/ تفرّغ كاسونا تفرغاً كاملاً لتطوير قدراته الدرامية الهائلة. في عام ١٩٣٧ غادر إسبانيا منفيّاً سياسياً؛ وطاف خلال عامين: فرنسا، المكسيك، وبويرتوريكو، فنزويلا وغيرها، ثم استقر في الأرجنتين. ونال شهرة عالمية تضعه في مقدمة كتاب المسرح المعاصرين. عاد إلى إسبانيا في أوائل الستينات وتوفي في مدريد عام ١٩٦٥.

❖

الكلمة الثالثة

(مسرحية في ثلاثة فصول)

تأليف أليخاندرو كاسونا

ترجمة وتقديم علي أشقر

شخوص المسرحية

١-مارغا

٢-العمة ماتيلده

٣-العمة أنخلينا.

٤-دوينا أولو

٥-خوسبخينا

٦-بابلو

٧-السيد رولدان

٨-الأستاذ

١٠-إسوبيو.

❖

مقدمة

تميّز مسرح كاسونا (بالفانتازيا) الشاعرية الساحرة، واغترابه عن عالم الواقع جزئياً. لكنّ فيه مسرحيات واقعية متميزة أيضاً. ومنها هذه المسرحية، التي يمكن تلخيصها على النحو التالي: "والد بابلو سلدانيا كان نبيلاً ثرياً ومثقفاً وصيّاداً لا يجارى. وكان يحب زوجته حباً جماً. رزقا ولداً واحداً هو بابلو. ذات يوم فرّت الزوجة من بيتها مع عشيقها، فأصيب الرجل بإحباط كبير، وأقسم على أن يربي ابنه بتماس مباشر مع الطبيعة، مبتعداً بذلك عن عالم الحضارة المليء بالمخازي وعن الحب الممزوج بالخداع. بعد عشرين عاماً يتوفي الأب، ويعود الابن إلى حمى العمتين ماتيلدا وأنخلينا اللتين انشغلتا بإعادة دمج هذا الطفل -الرجل بالمجتمع بتعليمه القراءة والكتابة، وبمقاومة محاولة خاله رولدان مدير أعمال البيت وابنه المحامي خوليو، سرقة ثروة الشاب الهائلة. وبعد إخفاق أربعة معلمين في ترويضه، استدعت العمتان الدكتورة مرغريتا لوخان المعلّمة الشابة الجميلة، التي استطاعت بلطفها

و[illegible]ها إقناعه بضرورة تعلم القراءة والكتابة. وتنشأ علاقة حب بينهما حاول خوليو إجهاضها بإرغام مارغا على الاعتراف لبابلو بعلاقتها السابقة معه مستغلاً وحدتها وفقرها أثناء الدراسة الجامعية، أو يتولّى هو نفسه أمر إبلاغه.

تعترف مارغا لبابلو بسر تلك العلاقة، فيُصعق لهذا النبأ، ويثور ويستشاط غضباً، لكن، حين وقعت مارغا مغشياً عليها، أخذ، وقد ظنها ميتة، يتفجرّ بجمل تفيض بالحب والعاطفة والاعتذار. وهناك تنبثق حول مارغا وبابلو الكلمة الثالثة ممثّلة بالحب، إلى جانب القوتين الأخريين اللامنظورتين: الله والموت".

موضوع هذه المسرحية الجميلة بسيط. لكنه أثار منذ عرضها الأول جدلاً حول مغزاها وسوابقها. ونورد هنا رسالة شخصية من المؤلف رداً على أحد المعلقين الذي كتب أنه لم يدرك مقصدها: "ذكر المعلّقون بيجماليون مستندين من هذا الموقف، السعيد بوجود معلمة في المسرحية وتلميذة أكبر منها. وبعضهم أوحى على حياء باسم إميل. (وقد ذكر روسوفي المسرحية) وبعضهم كان أجرأ فذكر كانديد لفولتير، ليبيّنوا مرة واحدة أنهم لم يفهموا شيئاً من المسرحية، وأنهم لم يقرؤوا كانديد. فبطلي [illegible] دون أن يكون قرأ كتاباً واحداً، بينما نشأ [illegible] متحذلقة بين أحضان كتب الدكتور

بنغالوس. كان غرض فولتير مناهضة مفهوم ليبنيتز الفلسفي المتفائل. ولم ير أحد سوابق بطلي الإسبانية، فلم يتنبّهوا إلى الفيلسوف المتعلّم ذاتياً لمواطننا العربي الغرناطي ابن الطفيل. ولا إلى ابنه المباشر "أندرينيو" الذي يحتل الفصول الأولى من الـ"كريتيكون" لفراثيان[٢] ولا تجسّده الدرامي الأسمى في الفصل الأول من مسرحية "الحياة حلم"[٣]وقد ذكرت عمداً في المسرحية أيضاً وبالإشارة إلى العنوان فاته لم يلحظ أحد أيضاً أن الكلمات الثلاث الكبرى. الله والموت والحب، تلتقي ليس لفظياً وإنما يُعبر عنها بحضور درامي، لحظة الختام حول المقعد الذي ترقد فيه مارغا مغشيّاً عليها. لا يهمّني أن يُبحث لأبطالي عن سوابق مألوفة -وقد ذكرتها بوضوح

---

(٢) -(١٦٠١-١٦٥٨) كاتب إسباني، ولد في بيلمو نتيه (سرقسطه). وانضم إلى جمعية الأخوة اليسوعيين. واحد من أعظم كتاب العصر الذهبي الإسباني. لا ح بوضوح انحطاط الإمبريالية الإسبانية خلقياً ومادياً. سادت أعماله نظرة متشائمة للناس والحياة أثرت في شوبنهور بعدئذ. مات منفياً بعد أن تعرض لعقوبات صارمة لنشره كتابه "الكريتيكون" في ٣ أجزاء دون إذن رؤسائه، "المترجم"

(٣) -رائعة كالديرون باركا (١٦٠٠-١٦٨١) باسيليو ملك بولندة يلقي بابنه باكراً في سجن حسية تحقق نبوءة تقول إنه سيغتصبه العرش. صلته بالعالم الخارجي اقتصرت على خادم بعد سنين جيء بالفتى مخدراً إلى البلاط وراح يتصرف خبط عشواء. رُدّ إلى السجن مرة أخرى. لكن الشعب يعلم بالأمر فيثور ويطلق الأمير ويعزل الملك وينصب ابنه مكانه. وإذ نذكر هذا مرارة السجن ومعاناته فيه يعفو عن والده.

شديد وعن رضا- لكن، ما لا أغفره هو أن يخطئ المعلّق هذا الخطأ البيّن بعنوان منزله، ومدينته... بل وبلده"

لكن الناقد الإسباني فدريكو كارلوس روبليس يلحّ على الصلة القائمة بين بطل المسرحية بابلو وبين أندرينيو لفراثيان: فأندرينيو هو رجل الطبيعة. وحين علمه أستاذه كريتيلو اللغة، تذكر أنه استيقظ ذات يوم فوجد نفسه في قاع كهف مظلم بين الضواري. وقد قامت إحداها بإرضاعه لبنها؛ ثم تغذى بعد ذلك على الثمار وبقايا الطعام الذي كانت تجلبه لجرائها. نشأ أندرينيو دون وعي. وحين أضاء جوانبه نور العقل علم كم هو مختلف عنها؛ وازدحمت الأسئلة في ذهنه: من أنا؟ ومن أوجدني؟ ولماذا؟ وذات يوم تشققت جدران الكهف بفعل زلزال أرضي، واستطاع أندرينيو أن يهرب من بين بعض الشقوق. وحين رأى نور الشمس مُلِئَ دهشة... وكل ما كان يكتشفه كان يغمره بالنشوة. واستيقظ في نفسه الإحساس بنظام الطبيعة المنسجم وضرورة وجود الخالق. لكنه حين يصل ومعلمه إلى بعض المرافئ، اصطدما بالعالم المتحضّر وانتابهما الشك: أين يجدان السعادة، في المجتمع؟ أم في العزلة؟

وأسمح لنفسي أن أخالف السيد الناقد في نظرته. نعم توجد بعض التشابه بين بطلي العملين. لكن الفروق بينهما

واضحة جلية. فأندرينيو نشأ في عزلة تامة عن المجتمع والحياة البشرية. إذ نشأ في كهف وبين الوحوش دون معرفة باللغة. أما بابلو، فقد نشأ بعيداً عن الحضارة، وليس في عزلة تامة عن المجتمع، وإنما في حلقة ضيّقة منه. لأنه قضى السنوات الأربع الأولى ضمن أسرة.

وبعد ذلك بصحبة أبيه في الجبل. وكان يعرف اللغة. وهي معطى اجتماعي، والمفتاح الأهم لكل تقدّم. وعلمه أبوه كثيراً من المهارات كالصيد وركوب الحصان، وكان يعرف أسماء الأشياء والحيوانات والنجوم؛ فلم تساوره دهشة إزاءها؛ ولم يتعيّن عليه أن يعيد اكتشافها، فقد كان مغموراً بها من كل جانب وبإفراط وفوق ذلك، نقل إليه أبوه إرثاً اجتماعياً ثقيلاً هو علاقة الرجل بالمرأة من جانبها السلبي. وأهم من ذلك كله، ما سكت عنه هذا الأب. وما كان ينقص بابلو سوى شيء من الصقل والتهذيب والتعليم حتى يدخل دائرة الحياة الاجتماعية. أمثال هذا الإنسان (المعزول) يعثر عليه في كل آن، في رؤوس الجبال، وفي جوف الصحارى، وقصة علي بن الجهم ليست بعيدة عن هذا الإطار. فالأساس الافتراضي لكاسونا يختلف عن الافتراضات الأخرى.

كان هدف مؤلفي حي بن يقظان، وأندرينيو إثارة تساؤلات فلسفية عقلية منطقية وصولاً إلى أن وراء هذه الصنعة المتعددة، صانعاً واحداً خالقاً حسب المفهوم

الإسلامي أو محركاً أول حسب المفهوم الأرسطي. كاسونا لم يثر أي تساؤل من هذا النوع. أدرك بابلو وهو في الغابة معنى الموت و"لمس" وجود الله بتجربة ذاتية بسيطة، أو بنوع من الحدس أقرب ما يكون إلى التجربة الصوفية. وهذه سمة من سمات التصوف الإسباني عموماً والتصوف الإسلامي في مراحله المبكرة قبل أن يتحول إلى نظام معرفي. فالأساس المعرفي عند كاسونا يختلف عن سابقيه.

أما القوة الأخرى من القوى الثلاث المتعالية في الحياة، وهي الحب، فلم يستطع بابلو إدراك معناها في الغابة، وإن كان يلمح ظلالها البعيدة ورموزها الوحشيّة الغريزية وقت هياج الحيوانات في الربيع. أما الحب كعلاقة تتجاوز الانفعال إلى العاطفة، والغريزة وإلى ما هو إنساني، تتطلّب طرفاً آخر لا يتوفر إلا في وسط اجتماعي مهما كان صغيراً أو مهما كان حظه من التحضرّ. فانهزام الحب، أو الحب المهزوم، الذي دفع بوالد بابلو إلى الفرار بابنه إلى أحضان العزلة في الجبل والغابة، ليس مبرّراً لإدارة ظهرنا إلى الآخرينن فهناك وجه آخر للحب يقوم على الأريحية والعطاء، وهو جدير بأن نبحث عنه، وسنعثر عليه ولو تلطخ ببعض غبار الأرض.

كاسونا إذن، يرد بطله إلى المجتمع. ففي المجتمع تكتمل حقيقة وجوده؛ وتنتظم دائرة مقوّمات مسرح كاسونا

القائمة على الترابط بين الأبطال الثلاثة: الله والموت والحب. لأن الإنسان -كما يقول الناقد ب.ك. روبايس- "ما دام يحيا بالحب ومن أجل الحب ينسى الموت، واكما أسباب الخلود واستحقاقاته. وبالحب وبالموت يقترب من الله... وكاسونا كإسباني فذّ يعلم أن الدوافع الملحّة على تفكير الإسبان الكبار في كل عصر كانت وسواس الخضوع للحب وللموت وفاء بالعهد مع الله"

هناك وجه آخر تمتاز به هذه المسرحية، هو هذا الفيض من الرحمة والشفقة، ولم يكن اختيار كاسونا لتعليم البطل امرأة عبثاً. فقد أخفق المعلمون السابقون الذكور في تعليمه. لكن هذه المعلمة الساحرة آثرت البقاء شفقة عليه وعلى لهفة العمتين وقلقهما المشروع. واستطاعت النهوض بهذه المهمة بكفاءة. شفقتها هي نقيض قسوة الأم. وشفقته هو عليها حين أصيبت بالإغماء نقيض فظاظة الأب وخشونته.

كاسونا كاتب متفائل دائماً؛ والخير عنده، كما هو الحال عند كتّاب الدراما الإغريق، ينتصر دائماً، لكنه، في المقابل، ليس خيراً مطلقاً، ولا خالصاً من الشوائب، وإنما يعلق به كثير من نواحي الضعف البشري، ويكون الخيار بينه وبين شر مستطير. "وبعض الشر أهون من بعض؟"

تبقى كلمة أخيرة، كاسونا في هذه المسرحية وفي غيرها لا ينسى لحظة واحدة أنه يكتب "للمسرح" وقد قيل

عن مسرحه: "لا شيء فيه يفيض عن الحاجة ولا شيء ينقص عنها؟ فكل شيء، مهما بدا بسيطاً، يوظف بدقة. وخيط الحوار الجميل الرشيق لا ينقطع أبداً.` والفكاهة الجميلة والطرفة الحلوة تنتثر هنا وهناك. تبدأ المسرحية بكلمة وتنتهي بكلمة، وهي الكلمة الثالثة: الحب.

❖

الفصل الأول

خارج وأمام بيت ريفي قديم ذي خلفيّة من الجبال التي تطل على سطح من قرميد. منضدة متينة عليها كتب، وسلة فيها شغل. بعض المقاعد البسيطة. ربما عريش كرمة، أو غليسين أو شجرة جوز. حديقة صغيرة مغروسة بالأزهار، لكن، دون أن ننسى أننا أمام بيت معيشة وليس بيتاً للاصطياف. إلى اليسار سور حجري فوقه شوك أو أغصان، فيه باب حديدي يطل على الطريق. وهو بالتأكيد ليس طريقاً عاماً للعربات. إلى اليمين. يستطيل البيت ويضيع في جسم أعلى له مخرج مفتوح على الوادي والنهر.

صباح يوم مشمس المسرح خال يُسمع صوت العمة ماتيلده التي تخرج منادية. العمة ماتيلده وكذلك العمة أنخلينا اللتان سنعرفهما فوراً فيهما من (الفانتازيا) أكثر مما فيهما من العقل. هما امرأتان ذودتا من الوحدة والعزوبة.

طريقة لبسهما التي لا تتبدل أبداً، ربما جعلتهما تبدوان من طراز "عتيق" قليلاً أكثر مما هي في الواقع، لأننا إذا نحينا المجاملة، لا ينبغي لنا أن نفرض لهما غير أربعين عاماً ونيّف، ماتيلده، وهي أكثر تسلطاً، تميل إلى الخطابة. أما أنخلينا، وهي أكثر حذراً، فتميل إلى الموسيقى، نموذجان محببّان لهما مظهر مروحة وبياض ألبوم عائلي. لكنّ المؤلف الذي يشعر نحوهما

بعطف محتوم، يَحظَر حظراً تاماً أن تتحولا إلى نموذجين مضحكين. أما إوسوبيو فهو لا يزعم إلا أن يكون عاملاً رصيناً في حديقة مسرح. العمل ليس له وقت ولا مكان محددان. لكنّ مخرجاً ذكياً سيضعه بالتأكيد في محيط أشبه ما يكون بشمالي إسبانيا وفي زمن أقرب ما يكون إلى البسمة والسلام.

اليسار واليمين هما يسار المشاهد ويمينه

ماتيلده وإوسوبيو

ماتيلده : إوسوبيو!... إوسوبيو

إوسوبيو : حاضر، حاضر، يا سيدتي (يدخل حاملاً أغصاناً من اللوز المزهر. رأسه حاسر ومعصوب بمنديل).

ماتيلده : لكن، ألا تزال هنا؟ القطار سيصل بين لحظة وأخرى.

إوسوبيو : لدينا فائض من الوقت.

ماتيلده : فائض؟ ساعة غرفة الطعام تشير إلى العاشرة وعشرين دقيقة.

إوسوبيو : لكنّ ساعتي تشير إلى العاشرة إلا خمس دقائق. إذن الساعة هي العاشرة والربع تماماً.

ماتيلده : أيبدو لك وقتاً فائضاً العاشرة والربع، لتدرك قطار العاشرة واثنين وعشرين؟

إوسوبيو : على رسلك قطار العاشرة وخمس وعشرين لا يصل أبداً حتى الواحدة إلا خمساً وعشرين

دقيقة.

ماتيلده : وماذا لو خطر لـه أن وصـل اليـوم بـالذات في الوقت المحدّد؟

إوسوبيو : لا خطـر فـي ذلـك. طـوال حيـاتي, لا أذكـر حالة واحدة من الدقـة لهذا القطـار. ثلاثـون عاماً وهو يصل كل يوم متأخرّاً المدّة نفسها.

ماتيلده : على كل حال، ليس لدينا وقت نضيعه. هل أعددت العربة؟

إوسوبيو : هي في الباب.

ماتيلده : وهذه الزهور البيض؟ أنا طلبـت منـك أغصانـاً خضراً.

إوسوبيو : حقاً، السيّدة طلبت أغصانـاً وخضـراً، والأنسـة قالت زهور أو بيضاً.

ماتيلده : هـذه المـرّة، سـماح. لكـن، لا تنسـى أنّـى أنـا الآمرة الناهية في هذا البيت، وأنا فقط.

(ينسّىَ أغصان اللوز في مزهريّة(٤) من الفخـار قرب النافذة)

إوسوبيو : أفضّل أن أعيش بسلام مع الاثنين مـادام ذلـك

---

(٤) -حسب المعجم الوسيط. "وعاء من خزف ونحوه يوضع فيه الزهور ونحوه الزينة.

ممكناً.

ماتيلده : أسلوب رديء يا إوسوبيو. من يذهبْ باتجاه اليمين، يقذفه بالحجارة أصحاب الشمال؛ ومن يتجه صوب اليسار يقذفه بالحجارة أصحاب اليمين. ومن يقف في الوسط يُرجم من الجهتين معاً.

إوسوبيو : هذا ما كان يقوله السيد، هذه مأساة عصرنا.

ماتيلده : على ذكر الحجارة، لماذا تعصب رأسك؟

إوسوبيو : (ينزع المنديل) أمر بسيط. إنها الأنسة أنخلينا.

ماتيلده : عجباً! أرمتك أختي بحجر؟

إوسوبيو : بل أسقطت أصيصاً فوق رأسي من الشرفة.

ماتيلده : يا لها من طفلة!. كانت المسكينة عصبيّة دائماً إلى حدٍ ما. لكنها بوصول هذه الآنسة صارت لا تطاق.

إوسوبيو : لو كنتُ مكانك لما تركتها وحيدة في يوم كهذا اليوم. أوّلاً: تركت ماء الحمّام يجري حتى أغرق الدرج، ثمّ وضعت المايونيز في علف الدجاج... (تسمع في الداخل دندنة جد خافتة بفالس: "غابات فيينا".) والآن، ألا يذكّرك بشيء ما هذا الفالس؟

ماتيلده : إنه شتراوسي لحن فيه قدر من النشاز لكنه شتراوس هل من شيء خاص فيه؟

أوسوبيو : رائحة قويّة تشي بالكارثة. فيوم صعدت لتربط ساعة الحائط في غرفة الطعام، سقطت الساعة فوقها. ماذا كانت تغنّي؟ شتراوس. وحين ألقت باروداً أسود في المدفأة ظناً منها أنه فحم؟ شتراوس.

ماتيلده : (قلقة على نحو مشروع) لكن، أين تريد أن ينتهي بها المطاف؟ ماذا تعمل الآن الأنسة أنخلينا؟

إوسوبيو : قلت إنها تنظّف الأواني القديمة.

ماتيلده : الأواني الإيزابيليّة؟ يا إلَهي! (تصيح بعصبية) أنخلينا! (تسمع في الداخل فرقعة آنية. تسدّ ماتيلده أذنيها.) أبقي شيء سليماً؟

أنخلينا : أهدئي يا عزيزتي. لا شيء إلا الخوف.

ماتيلده : أليست الآنية الإيزابيلية؟

أنخلينا : بل الآنية الفضية. سأجمعها خلال لحظة واحدة وأضعها في الخزانة.

ماتيلده : مع الآنية البلّورية؟ كلا! من فضلك لا تلمسي اليوم شيئاً. اخرجي رافعة يديك إلى الأعلى! (أنخلينا تغلق الباب) وأنتَ، هيا إلى المحطة فوراً. أتتذكر الاسم؟

إوسوبيو : دكتورة مرغريتا لوخان.

ماتيلده : اهتمّ بها كأنها أنا نفسي. لكن، إن سألتك سؤالاً

حساساً، أنت تعلم: سكوت مطلق.

إوسيبيو : "لا تهتمّي. السكوت هو الشيء الوحيد الذي أتقنه. تعلمته من السيد، (يخرج بعد قليل تسمع أجراس عربة خيل تبتعد. تدخل أنخلينا. تلبس الآن ودائماً ما تلبسه أختها تماماً)

ماتيلده وأنخلينا

ماتيلده : لكن، أنخلينا، يابنيتي، متى ستتعلمين ضبط أعصابك؟

أنخلينا : إنهما هاتان اليدان السعيدتان حين أغضب لا أدري ماذا يجري لي. أحسّ كأنّهما امتلأتا بالنمال.

ماتيلده : ها هو مشغل التريكو، فهوبالنسبة إليك مهدّئ

أنخلينا : هذه المرّة "لا أعتقد" فالأمر أخطر مما ينبغي (تجلس وتنسج بعصبية)

ماتيلده : المنتظر دائماً، أشد رهبة من الواصل انسجي وفكري بشيء آخر.

أنخلينا : لا أستطيع يا ماتيلده، لا أستطيع كل دقيقة تمرّ هي أسوأ مما قبلها. (تترك الشغل) أتدرين ماذا سيحدث حين تصل هذه الفتاة البائسة، وتعلم سبب استدعائنا لها؟

ماتيلده : دون تهويل. أولاً. هي ليست فتاة بائسة، بل

دكتورة وتعرف الحياة. وثانياً، ما ستلقاه هنا يمكن أن يكون غريباً، لكنه ليس مخجلاً وليس فيه ما يثير الفزع.

أنخلينا : آه أتتخيلين أنها ستظل هادئة وكأن الأمر طبيعي جداً؟

ماتيلده : لم أقل هذا أيضاً. واضح أن الشعور الأول سيكون شعوراً بالخوف، بل قد تحاول الخروج راكضة، لكن القلب سيفرض في النهاية وجوده. حينئذ ستكون مستعدة لكل شيء.

أنخلينا : هذه أوهامك. أقسم لك، ما إن تعلم الحقيقة حتى تترك هذا البيت خلال دقيقة واحدة.

ماتيلده : واضح أنّك لا تعرفينها جيّداً.

أنخلينا : وأنت، أتعرفينها؟

ماتيلده : تكفيني رسالتها فيها يتبيّن أنها ذات روح قويّة.

أنخلينا : الآخرون كانوا أيضاً أثرياء، ودكاترة. لكن أحداً منهم لم يصمد أسبوعاً واحداً.

ماتيلده : الآخرون كانوا رجالاً مساكين. أما هذه فامرأة.

أنخلينا : أسوأ إنها لمؤامرة غير لائقة، إنْ نأتي بها مخدوعة هكذا دون أن ننذرها بالخطر

ماتيلده : كفاك! اتخذت قراري، ولا أقبل مناقشات.

أنخلينا : ألا يحقّ لي أن أبدي رأيي؟

ماتيلده : أنت الأخت الصغرى.

أنخلينا : صغرى؟

ماتيلده : أصغر منّي.

أنخلينا : لا أزال كذلك؟ كان هذا مقبولاً أيام المدرسة حين كنتُ في التاسعة. وأنت في الرابعة عشرة لكن، ما هي خمسة أعوام في سننا المتقدّمة؟

ماتيلده : (دون أن تنثني)، ولو كانت خمس دقائق! أنا الأخت الكبرى؛ ولا يوجد ما يكفي من العدس في الدنيا لشراء حقّي في أولويته الابن البكر.(٥)

أنخلينا : (تنهض وترفع صوتها في محاولة تمرّد) أتطلعين عليّ الآن بالأناجيل؟

ماتيلده : (أقوى من صوت أختها) إنه العهد القديم.

أنخلينا : آه!... إذاً، لا بأس! (تجلس وتنسج من جديد. تعود ماتيلده إلى لهجتها الطبيعية.)

ماتيلده : المسألة ليست مسألة سنين فقط! بإضافة إلى العمر، هناك التجربة لصالحي أنت آنسة.

أنخلينا : وأنت، ألست كذلك؟

ماتيلده : أنا أيضاً، لكن بشكل آخر أمام الله وأمام

---

(٥) -إشارة إلى قصة عيسو وأخيه يعقوب وأم هذا الأخير رفقة، حين احتالا عليه للتخلي عن حقه في أولوية الابن البكر بإطعامه عدساً حين كان جائعاً جوعاً شرساً -(المترجم)

القانون، أنا سيّدة ولي شريك شرعي.

أنخلينا : باه ! زواج بالإمكان. لكن البحر كان يفصل بينكما. مات العريس بعد ثمانية أيام دون أن يحظى؟ برؤيتك مرّة واحدة. إذا كنت تسمين هذا تجربة..

ماتيلده : لمَ لا؟ إذا كان خطيبي لم يترك لي تجربة في الزواج، فقد ترك لي على الأقلّ تجربة في الترمّل.

أنخلينا : ودخلاً جميلاً تتعزّين به. من جهة الزواج كان كارثة. أما من جهة التجارة... أسبوع واحد من الحزن وأربعون عاماً من السرور.

ماتيلده : أنخلينا!

أنخلينا : معذرة (تنسج. صمت قصير يسمع في غرفة الطعام دقة جرس. أنخلينا تنظر فزعة نحو الداخل، وتنسج بمزيد من السرعة) العاشرة والنصف! إنها الدقائق العشر الأخيرة الهادئة. خلال زمن قصير: ثرارام، ثرارام، بام! بام!

ماتيلده : بأغلى ما تحبيّن الذنب ليس ذنب شتراوس. ألا تريدين أن تتخلّي عنه مرّة واحدة؟

أنخلينا : وأنت، ألا تستطيعين أن تتراجعي مرّة واحدة فقط؟ فكري بهذه المرأة البائسة!

ماتيلده : إني أفكّر تحديداً! (تخرج رسالة من صدرها وتضع نظارتها) هنا تجدينها بالكامل أمامك: إرادة لا تنثني، وعاطفة سمحة، وطفولة مأساوية وميل للتحرّر دون خوفٍ من أي خطر. حقاً، هي الشخص الذي كنا نفتقر إليه!

أنخلينا : لكن، من أين تستخرجين ذلك كله؟ لقد قرأت هذه الرسالة عشرين مرة، فلا أذكر أنيْ وجدت فيها شيئاً مشابهاً.

ماتيلده : أنت ترين ما تقوله الكلمات فقط. المهمّ ما تقوله الحروف.

أنخلينا : آه! حقاً: معرفة الشخص من قراءة خطِّه، مرة أخرى!

ماتيلده : لا تقولي ذلك بهذه اللهجة المتعالية: قراءة الخط علم.

أنخلينا : أحقاً؟ أريني: أين الإرادة؟ (تدع شغلها وتدرسان الرسالة معاً)

ماتيلده : هنا انظري إلى هذه السطور التي ترتفع في نهايتها كالعاصفة.

أنخلينا : على الأرجح، كانت تطوي الورقة حين الكتابة. وأين السماح؟

ماتيلده : انظري بإمعان إلى هذا التباعد بين الخطوط.

امرأة تكتب على هذا الشكل، هي من النوع الذي يعطي كل ما عنده. كل شيء أولا شيء.

أنخلينا : وهذا الحرف المنحني أيعني لك شيئاً أيضاً؟

ماتيلده : ثلاثون درجة إلى اليمين. إنها العاطفة. كل منطقة (الأنا) تتدّفق باتجاه منطقة الأنت.

أنخلينا : حسب هذه النظرة، هذا جميل حقاً. لكنه قد يكون خطراً في هذه الحالة.

ماتيلده : لا تخشي شيئاً. مهما تكن العاطفة قوية، روح التضحية أقوى منها. فلو حُكم عليها بأن يلقى بها في حفرة الأسود، لوجدتها غير هيّابة ولو مُزقت إرباً إرباً.

أنخلينا : (متأثرة) فهمت. "فابيولا وشهداء المسيحية."

ماتيلده : بالضبط.

أنخلينا : أما ما لا أراد في أي مكان فهو مأساة الطفولة.

ماتيلده : لكن، هل أنت عمياء؟ ألا ترين هذه الحروف المنقسمة إلى شطرين؟ أبواها مطلّقان؛ حياتها كلها كانت صراعاً يمزّقها بين حبها لأبيها وحبها لأمها.

أنخلينا : لكن هذا رهيب، يا ماتيلده!

ماتيلده : رهيب، يا أنخلينا! أتفهمين الآن لماذا اخترتها دون سواها؟ امرأة من هذا النوع يمكنها وحدها

إنقاذ هذا البيت.

أنخلينا : وماذا لو أخطأت في قراءة خطّها؟

ماتيلده : مستحيل. انظري إلى هذا التوقيع الضخم دون تذييل.:"مار غريتا" انظري مليّاً إلى قائمة حرف (T) كأنها عصا وانظري إلى هذه النقطة فوق (I) كيف هي عالية كالصلاة. إذا كنت لاأعرف شيئاً عن هذه المرأة، فسوف أكتفي بهذه القائمة وهذه النقطة كي أسلّمها زمام أمري ونا مغمضة العينين.

أنخلينا : (متنهدة) أسأل الله ألا نندم!

ماتيلده : أتشكيّن بي؟

أنخلينا : أتذكّر حين كنتِ تقرئين بخطوط كفّي. كنت تشخّصين لي دائماً زواجاً سعيداً، وبيتاً ملآن بالأبناء، وحياة مفعمة بالأسفار. وانظري النتيجة: لا سفراً واحداً قمت به؛ ثم من يكاد يكون ابن أخ؛ وها أنا عانس منذ البداية وإلى الأبد الأبدين.

ماتيلده : (جادة. ترفع نظارتها، وتحتفظ الرسالة) أنا لم أخطئ أبداً خطوط كفك هي التي أخطأت.

(يدخل السيد رولدان مدير أعمال البيت. شطب محترف، تعلوه سترة أصحاب الملفات والأوراق.)

ماتيلده، أنخلينا وروLدان

روLدان : (ضوضاء كبيرة) هذا غير ممكن. هذا غير ممكن. هذا غير ممكن. قولا لي هذا غير ممكن.

ماتيلده : (عدائية منذ اللحظة الأولى) لا أعلم إلى ما تشير. لكن، إن كان يبدو لك الأمر مستحيلاً، فاطمئنّ إلى أنه حقيقي.

روLدان : إذاً، الأمر مؤكد؟ امرأة مجهولة تدخل هذا البيت؟

أنخلينا : ولا تبالِ. أختي تعرفها كانت زميلتها في المدرسة.

روLدان : لكن، هل فقدتما الحسّ بالمسؤولية؟ أنبّهكما أحد إلى وضع هذه السيّدة؟

ماتيلده : آنسة!

روLدان : آنسة؟ آه، الفضيحة إذاً، أسوأ بكثير، أيبدو لكما لائق أن تعرضا شيئاً كهذا على آنسة؟

ماتيلده : لا أظن أنك ستلقي علينا دروساً في الأخلاق.

روLدان : دروس في الأخلاق، كلا! لكن، لو استشرتماني لأسديت لكما نصيحة ثمينة.

ماتيلده : عبث. هذا شأن عائلي: أنت مدير أعمال فقط. منذ الآن، كل واحد في موضعه.

أنخلينا : أحسنت، يا ماتيلده!

ماتيلده : شكراً يا أنخلينا.

رولدان : (يتراجع) لا بأس! أهي على الأقل امرأة محترمة؟

أنخلينا : هذا يتوقف على ما تسميه أنت احتراماً.

رولدان : عمرها، مثلاً.

ماتيلده : من هذه الجهة، نحن أكبر سناً منها

رولدان : تجربة مهنية؟

ماتيلده : هي دكتورة بأربعة ألقاب.

رولدان : قوة الطبع، قوة الإرادة؟

أنخلينا : لو أطلّعت جيّداً على خط حرف T لما تفوهت بالحماقات.

ماتيلده : أحسنتِ جداً، يا أنخلينا!

رولدان : إني أرى ما أراه دائماً. أنتما لا تتفقان على شيء إلا عليّ. لكن، حين يتعلّق الأمر بحياة إنسان، فهذا ما لا يمكن اللعب به. هذه الحالة تتطلّب عقد مجلس العائلة.

ماتيلده : مجلس العائلة عُقد، وتمّت الموافقة بالأكثرية.

رولدان : أي مجلس؟

ماتيلده : نحن الاثنتان، حين نتناقش أنا وأختي، الأكثرية تصوّت لي.

رولدان : آخر الأمر، هذا شأنكما! كما أرى، الـ‍نون في

هذا البيت مرض معدٍ.

أنخلينا : (قافزة) حذار هنا، ماذا تعني بهذه الكلمات الملتوية؟

ماتيلده : (تحمل عمل أختها) أتريد أن تلمح إلى أن أخانا مات مجنوناً؟

رولدان : (يتراجع) لست من يستطيع إثبات ذلك. لكنني لا أظنّ إنساناً طبيعياً يمكن أن يصنع بابنه ما صنعه هو.

ماتيلده : (تتقدّم بحزم) كفى إذا كان أخي عانى ماعاناه، فأنت خير من يعلم من كان السبب. هل أنا بحاجة لأذكرك باسم تلك المرأة؟

أنخلينا : من فضلك، دعينا من الحكايات القديمة. ما يهمّنا الآن فقط هو هذا الطفل البريء.

ماتيلده : وهو كذلك ! الطفل ابننا؛ ولا أسمح لأحد أن يتدخل في حياته أكثر منّا.

رولدان : وأنا. أليس لي أيّ حق؟ أولاً وأخيراً، إن كنتما أختي الأب، فأنا أخ الأم.

ماتيلده : (حاسمة) ولا كلمة أخرى! العائلة الوحيدة هنا هي عائلتنا. أتسمع جيّداً؟ عائلتنا (بحقد) مهما يكن مؤلماً لك، يُفضل عدم التحدّث عن عائلة الأم. مفهوم؟

رولدان : (منكمشاً) مفهوم لديكما هنا برميل من البارو
والآن تجهدان في جلب عود ثقاب قريباً منـ
عظيم! من جهتي، أنا أغسل يدي من هذا الأمر

ماتيلده : (بجفاف) بذلك تحسن صنعاً مدير أعمال ويد
ملوّثتان، ليس أمراً سليماً.

رولدان : لحظة يا سيدي! لا أقبل الغمز، كلا ! حساباتـ
نظيفة، وهي تحت تصرّفك!
(تسمع أجراس تقترب)

أنخلينا : سكوت... عود الثقاب! أعني العربة.

رولدان : أهي؟

أنخلينا : هي. (تنسج بسرعة)

رولدان : في هذه الحالة، افترض أن وجودي غير مفيد
بتاتاً. أليس كذلك؟

ماتيلده : أهنئك. هي أعظم فكرة أبدعتها خلال الأربعين
عاماً الأخيرة.

رولدان : أشكرك. لطفك ضاف دائماً. (الأجراس تزد
اقتراباً)

أنخلينا : أأستطيع الانسحاب أنا أيضاً؟

ماتيلده : أنتِ، أبداً! جاءت اللحظة الكبرى! (تمدّ قبضتها
باتجاه الباب الحديدي، وترفع بصرها إلى السماء
إلهي لتكن إرادتك (تلتفت بعنف إلى أختها التي

ضاعت مرة أخرى في "غابات فيينا") دون موسيقى، يا أنخلينا! توقفي! (تتوقف الأجراس أمام الباب يدخل أوسوبيو حاملاً الأمتعة ومتقدماً مرغريتا: هي فتاة جامعية ذات جمال غضّ تلبس بأبسط أناقة طبيعية، بالتأكيد قرأت كتباً كثيرة، ولا تجربة لها في الحياة لكنها تملك من الذكاء ما يكفي لكيلا يُلحظ عليها بوضوح أي من الحالتين).

المذكورون ومرغريتا وإوسوبيو.

إوسوبيو : (مشيراً على شكل غامض) السيدة... السيدة الأخرى... السيد.

مارغا : صباح الخير جميعاً.

ماتيلده : أهلاً بك في هذا المنزل، يا آنسة لوخان. أختي أنخلينا.

مارغا : تشرّفت.

ماتيلده : السيد رولدان. مدير أعمال البيت.

رولدان : بكل سرور.

ماتيلده : أما أنا، فأرى عبثاً تقديم نفسي. أتسمحين لي أن أنظر إليك عن قرب شديد.

مارغا : ولِمَ لا ؟ (تتقدم. ماتيلده تضع نظارتها وتتأملها طويلاً بصمت. تقطب حاجبيها .)

ماتيلده : غريب! منذ اسبوع وأنا بانتظارك لم أتخيلك أبداً هكذا .

مارغا : هكذا، كيف؟

ماتيلده : هكذا... على جانب كبير من الشباب والجاذبية... أنت فتاة حقيقية.

مارغا : هذا لطف منك، على كل حال ، أمل ألا يكون هذا عائقاً لي في عملي.

ماتيلده : من يدري! كنت أتخيلك أيضاً نشيطة وذات إرادة. لكن ليس على هذا القدر الكبير.

مارغا : معذرة! هل قمت بشيء مستهجن؟

ماتيلده : كنت أنظر إليك مواجهة بكل قواي، ولم أستطع أن أجعلك تغضّين من بصرك لحظة واحدة.

مارغا : هذه مأثرة أنت جديرة بها يا سيدتي. كنت تنظرين في عيني وأنا كنت أنظر في عينيك. ولم أجد فيهما إلا قلباً كبيراً.

ماتيلده : شكراً. أتريدين أن تمدي لي يدك؟

مارغا : بكل سرور. (تشدّ عليها).

ماتيلده : لا بأس! ربما كنتِ قوية قليلاً. لكن الأمر ليس سيئاً (تبتسم أخيراً) يبدو لي أننا سنكون صديقتين رائعين.

مارغا : من جهتي، بدءاً من هذه الساعة.

أنخلينا : (لأوسوبيو الذي يقف ساكتاً) ماذا ننتظر؟ لماذا لا تصعد بمتاع الآنسة؟

أوسوبيو : ظننت أنّ لالزوم لذلك. أم الأفضل ألا أظل ساكناً. فلأي شيء أسير صاعداً نازلاً؟

ماتيلده : أطلب أحد رأيك؟ اصعد به فوراً!

إوسوبيو : اعذروني. (يدخل البيت مع المتاع)

رولدان : لعلّ إوسوبيو على حق. دبلوماسياً، بدأ المشهد بداية حسنة جداً. لكن يسرّني أن أرى النهاية.

ماتيلده : لا أفكر أن أضحك هذا السرور. أليس لديك شيء عاجل تعمله في مكتبك؟

رولدان : اسمحن لي بنصيحة على الأقل. (ينظر إلى ساعته) أنسة لوخان إنها الحادية عشرة إلا خمس دقائق. في الحادية عشرة وأربعين دقيقة يمرّ قطار العودة لا تتواني عن السفر فيه. (يخرج بأكبر جد ممكن من اليمين حيث يفترض وجود جناح. مرغريتا تنظر إليه يخرج مدهوشة)

مارغا : لا يبدو السيد المدير متفائلاً جداً.

ماتيلده : لا ينبغي الاهتمام به. هو من هؤلاء الذين، لفرط عملهم في الأعداد، يظنون أن اثنين زائد اثنين في الحياة، هي دائماً أربعة. رجل مسكين! أتريدين أن تجلسي؟

مارغا : إن لم يبد لكما مسيئاً، يسرني أن أتعرف على الطفل أولاً.

ماتيلده : بعدئذ. ينبغي أن أطرح عليك أسئلة، ربما بدت لك غريبة، لكن. أرجو أن تجيبيني دون تردد.

مارغا : قولي. (تجلس العمتان أولاً، ثم مارغا قبالتهما كأنهما في امتحان تخرج ماتيلده الرسالة وتنظر إلى مرغريتا بتركيز.)

ماتيلده : من تجبيّن أكثر. أباك أم أمك؟

مارغا : كيف؟

ماتيلده : أجيبي دون أن تفكري بذلك.

مارغا : في الواقع هذه مسألة لم أطرحها على نفسي أبداً.

أنخلينا : أبداً؟ ولا حين افترقا بالطلاق؟

مارغا : لكن، من ذكر الطلاق؟ أبواي أحبّا بعضهما بشغف، وماتا معاً حين كنت صغيرة.

ماتيلده : غير ممكن!

مارغا : بإمكاي أن أحلف على ذلك.

أنخلينا : لا حاجة لذلك، كلمتك تكفي.

ماتيلده : لا أفهم الخطأ هنا. لكن لنقبل به. سؤال آخر هام. لو أنك عشت في ظل امبراطورية نيرون، وحُكم عليك بأن يلقى بك بين الأسود، ماذا يكون موقفك؟

مارغا : لا أفهم... أهي لعبة؟

أنخلينا : أجيبي، من فضلك.

ماتيلده : تخيّلي المشهد: هنا المدرج الوثني المتعطّش للدم المسيحي.

أنخلينا : وأنت هنا راكعة على الرمل بحلّتك البيضاء..

ماتيلده : وتُفتح الأبواب....وتتقدم الأسود. وماذا كنت ستفعلين؟

مارغا : لا أدري... افترض ما كنتما ستفعلانه أنتما في هذه الحالة.

ماتيلده : (بحماسة شهيد) ما أحسن قولك!

مارغا : كنت سأجري وأنا أصرخ كمجنونة. أليس كذلك؟

ماتيلده : (تقف مُهانة) لا، هذا لا ! لا يحق لك أن تفعلي بي هكذا يا أنسة.

مارغا : (تنهض قلقة أيضاً) معذرة يا سيدتي. أخذت أشتبه بوجود سوء فهم. ألنت السيدة ساتيلده سلْدانيا؟

ماتيلده : هي نفسها.

مارغا : المرأة التي كتبت لي عارضة عليّ عملاً في هذا البيت؟

ماتيلده : بالضبط. وهذا هو جوابك!

مارغا : إذاً، لماذا هذه الأسئلة المستحيلة؟ جئت إلى هنا

بمهمة الاضطلاع بتربية طفل يتيم أليس كذلك؟

أنخلينا : وهو كذلك.

مارغا : أين الطفل؟

ماتيلده : سيأتي بعد قليل. صعد إلى الجبل حاملاً بندقيته.

مارغا : (تقف مذعورة) حاملاً بندقية؟ وحده؟

أنخلينا : برفقة برنار وفيرمين.

مارغا : لا بأس عليه هكذا. خادمان؟

أنخلينا : بل كلبان.

مارغا : لكن هذا غير ممكن. هل صرت أنا مجنونة؟ (تنظر إلى الجانبين وتتراجع) أم أنتما؟

ماتيلده : اهدئي... ولا نحن!

مارغا : أيبدو لكما حسناً أن تدعا طفلاً يحمل بندقية ؟

ماتيلده : أبوه كان صيّاداً كبيراً، وقد عوّده على استعمال البارود منذ نعومة أظفاره. من هذه الجهة لا يوجد خطر.

أنخلينا : الخطورة بدأت منذ صاريتيما. عليكِ أن تساعدينا على إنقاذ هذه الحياة البريئة.

مارغا : إنقاذ حياته؟ لكن لست دكتورة في الطب؛ أنا مجرد معلّمة.

ماتيلده : من هنا يجب أن نبدأ. أولاً يجب تعليمه القراءة

والكتابة. ثم تأتي الكتب. وبعد ذلك كلّ هذا اللغز الذي نسميه الحياة.

مارغا : أهو متخلف إلى هذا الحد؟

أنخلينا : إنه صفحة بيضاء. نشأ في الجبل. هو مانسمّيه طفلاً طبيعيّاً. أتفهمين؟

(مارغا تهدأ. وتعود فتجلس)

مارغا : أفهم يا سيدتي، أفهم. الآن، فهمت سبب هذا الانزواء في الريف والانطواء على سر. طفل طبيعي! أهو ابنك؟

أنخلينا : (تحمرّ خجلاً) أنا آنسة!

مارغا : معذرة. ابنك؟

ماتيلده : ولا هو ابني. إني وإن كنت أرمل، فأنا آنسة أيضاً.

مارغا : لا أفهم!

أنخلينا : هي أمور الحياة. أختي تزوّجت لثمانية أيام. لكنها لم تمارس الزواج.

مارغا : باختصاره أيمكنني أن أعرف ابن من هذا الابن الطبيعي؟

ماتيلده : ومن قال لك إنه ابن طبيعي؟

مارغا : إن لم يكن فهمي قاصراً، أنتما هذه الساعة ذاتها.

ماتيلده : أختي قالت "طبيعي" كمقابل لـ "صنعي" طبيعي يعني ثمرة الطبيعة. واضح؟

مارغا : (نافذة الصبر) موافقة يا سيدتي. لكن مهما يكن طبيعياً، فلم تعثروا عليه في شجرة. لا بد من أنه كان له أب وأم.

أنخلينا : أي، نعم! أبوه كان أخانا المسكين.

مارغا : والأم؟

ماتيلده : أمن الضروري أن نتحدّث عنها؟

مارغا : كلا! إن كنتما تفضلان السكوت. أميتة هي أيضاً؟

ماتيلده : ميتة أيضاً. إذ تولّى البحر أمر عقابها.

أنخلينا : إنه مؤلم؛ لكن يجب ألا نخفي عنك ذلك. كانت امرأة منحطّة.

مارغا : كفى! أنا أعرف كيف أحترم أسرار العائلة.

ماتيلده : شكراً.

مارغا : وما مشكلة الطفل التي تشغلكما؟

أنخلينا : أولاً، سبق أن قلنا لك ذلك: الجهل التام.

مارغا : نعم، نعم. أعرف قراءة وكتابة ثم كتب. حتى هنا كل شيء عادي وبعدئذ؟

ماتيلده : بعدئذ، الطبع. لا تتخيلي ذلك! هو عاصٍ وخطر كالشيطان نفسه. إنه متمرّد.

مارغا : لا يهم. أنا معتادة على هذا. أكان لـه معلّمـون قبلي؟

أنخلينا : ثلاثة رجال، ثلاثة إخفاقات.

ماتيلده : الأول حـاول ترويضـه بـاللطف. لكنـه تـرك العمل بعد أربعـة أيـام. والثـاني أراد أن يسـتميله بالعقل ومكث أسبوعاً.

أنخلينا : والثالث جهد فـي السيطرة عليه بـالقوّة. وهنـا بدأت المأساة. أترين تلك النافذة في ذلك الجنـاح؟ من هناك ألقى به.

مارغا : لا أستطيع تصديق ذلك. أرمى الأستاذ بـالطفل من النافذة؟

أنخلينا : بل الطفل رمى بالأستاذ.

مارغا : لحظة ! لحظة! أخذت أحس بالدوار. إذاً، رمى الطفل بأستاذه من تلك النـافذة... لكـن، كـم عمـر هذا المخلوق؟

ماتيلده : (على ... كل طبيعي) أربعة وعشرون عاماً.

مارغا : (تنهض ب...ثبة واحدة) ماذا؟ (تطبق جفنيها، وتمسح عينيها بيد...، مسيطرة علـى نفسـها.) معـذرة يـا آنسـتي! أظـن أننـي لـم أسـمعك جيداً. هـل قلـت أربعة أعوام؟

ماتيلده : أربعة وعشرون. (مارغريتا تترنح لحظة، وتستند

على مسند كرسي.)

أنخليثا : تارارام. تارارام. بام. بام.

مارغا : (أخيراً تبدي ردّ فعلها) أمن أجل هذا أتيتم بي؟ (تنظر إلى ساعتها بسرعة) في أية ساعة قال مدير الأعمال أن قطار العودة يمر؟

ماتيلده : لا تتركينا على هذا الوضع.

أنخليثا : اسمعي بحق كل ما تحبين.

مارغا : أيبدو لكما أنني لم أسمع ما يكفيني؟ هذه مزحة لا تغتفر. (تصرخ) آتني بأمتعتي وفوراً! (تحيط بها الأختان متوسلتين)

ماتيلده : انتظري على الأقل، حتى تتعرّفي عليه قبل أن تقرّري.

مارغا : ولأي شيء؟ ماذا يمكن لرجل كامل الرجولة لا يعرف القراءة والكتابة أن يكون مريض، أم متخلف عقلياً؟

ماتيلده : على العكس، ذكاؤه وقّاد.

مارغا : إذاً، ماذا؟ أهو متوحّش؟

أنخليثا : لم يكن خطؤه. والده اجتهد في أن ينشئه هكذا.

ماتيلده : عاشا وحيدين في الجبل، بعيدين عن الجميع، ودون الجميع. وإنما قصة محزنة.

مارغا : إنني آسفة! لكنني لم آتِ إلى هنا لأسمع قصصاً

مهما كانت محزنة.

المذكورات وإوسوبيو.

إوسوبيو : (يطل) الأمتحة؟ (تسمع طلقة من بعيد)

أنخلينا : أتسمعين؟ ما أروعه! إنها طريقته في التحية.

ماتيلده : فكري أن خلاص حياته بين يديك.

مارغا : أهو وسط تلك السحابة من الغبار التي يثير ها الحصان المنطلق؟ شكراً جزيلاً، يا سيدتي. لكن، من أجل هذا، لا تُستَدعى معلّمة وإنما مروّضة (تتناول إحدى الحقائب بحزم).

ماتيلده : (تسد طريقها) من فضلك، امكثي يوماً واحداً. يوماً واحداً فقط.

أنخلينا : ساعة واحدة فقط! ليس من حقك أن تحرمينا من اللحظة الكبرى التي طالما انتظرناها!

مارغا : لكن، إلى أيه لحظة كبرى تشيرين؟

ماتيلده : لحظة اللقاء! ألم تتنبّهي؟ هذا الفتى لم يرَ أبداً امرأة بشبابك وجمالك الذي يشبه جماله وصباه.

مارغا : آه! أو يبدو لكما أن هذا خبر يطمئنني؟ أتتخيلان ماذا يمكن أن يحدث خلال دقيقة؟

انخلينا :الأجمل ربما الشيء الذي لم يشهده أحد في تاريخ العالم.

ماتيلده : مشهد الرجل الذي يرى امرأة لأول مرة،

ويخرّ راكعاً، كالمتوحّش الذي يرى الشمس للمرة أول مرة. (يقترب خببُ الحصان تسمع طلقة بعيدة. نباح الكلاب، وصرخات بابلو تثير الذعر فيهن).

أنخلينا : ها هو!

صرخات : آنجا! آنجا! آنجا لا! كوبرا! أيخالا! آيخالا!

مارغا : الكلاب، لا... لا للكلاب!

إوسوبيو : (يخرج مسرعاً لإيقافها) اهدأ يا "برناردو" تعال هنا يا "فيرمين" اهدأ.

صمت قصير يتخلله صهيل . نباح- وأصوات أوسوبيو وهو يهدئ الكلبين

صوت بابلو: انتبه إلى الصغير، يا إوسوبيو. هذه الخبيثة أمسكت به من حلقه. هي غدّارة حتى الموت. (يدخل بابلو كالإعصار. يشعّ صحة وقوة وفرحاً يرتدي سترة من جوخ وقميصاً مفتوحاً. شعره أشعث متعرق، وينتعل حذاء ركوب كنانة(٦) وبندقية وحقيبة كبيرة).

سانتياغو وأنخلينا ومرغريتا وبابلو.

بابلو : يا سلام! يا عمتي! يا سلام! يا عمتي أنخلينا!. ثلاث ساعات وأنا أطارد بنت الشيطان على

---

(٦) اخترت هذه الكلمة بدل (جعبة) المستعملة اليوم، لأن الكلمة في الإسبانية [illegible] Cang. (المترجم)

الحصان لكنها سقطت أخيراً. (يعانق هذه وتلك ويرفعها في الهواء وهو يدور بهما) يا سلام!

أنخلينا : مَنْ، من سقط؟

بابلو : الذئبة الرمادية. افترست أربع عشرة نعجة من نعاجي. وتلقّى الجرو أول جرح منها، لكننى صرعتها. والآن، ها هو الجلد لتعليقه على الباب (يرمي بالكنانة في الهواء فتتلقفها ماتيلده) والقوائم من أجل أنصال السكاكين! (يرمي بالحقيبة فتتلقاها أنخلينا). والأمعاء من أجل أوتار الغيتار! آي خا -آي خا- خالا- لو رأيتما الكلب... (ينتبّه فجأة إلى وجود مرغريتا. يغير لهجته على شكل مفاجئ مشيراً بإصبع إبهامه.) من هذه؟

ماتيلده : الآنسة مرغريتا لوخان!

مارغا : (ترتجف يكاد صوتها لا يخرج) تشرّفت يا سيد.

بابلو : (بتكشيرة، دون أن يعيرها أدنى اهتمام) أهلاً! (يعود إلى حماسه متوجّهاً إلى العمتين ومديراً ظهره لمارغا) لو رأيتما الكلب! كان ذلك في الصباح الباكر عند كانيادا دي سيرّانتينا. وما أن تشمّم أثرها حتى انتصب شعره كدبابيس محمّاة، ثمّ... (يتوقّف الصمت ذاته) ماذا جاءت تعمل هذه هنا؟

ماتيلده : الآنسة لوخان معلّمتك الجديدة.

بابلو : لا! أمعلّمة "هذا الشيء"؟

أنخلينا : قليل من الذوق يا بابلو. هذه فظاظة أن تقول "هذا الشيء" لدكتورة.

بابلو : آها! إذاً، دكتورات صغيرات من أجلي؟ (يمسك بها من ذراعها بقوة، ويجعلها تتقدم.) تعالي هنا، أترين تلك النافذة العالية في الجناح؟)

مارغا : نعم، نعم! لا تتعب نفسك. هما قصتنا عليّ القصة.

بابلو : آه! حقاً؟ إذا أحببتِ أن تكوني مطمئنة إليّ، أنت تعرفين، رجل لرجل. ولا شيء من تلك الحيل الغبية من الحروف الكبيرة والصغيرة، ونقطة فاصلة. (يعود إلى حكايته) ما أجمل تلك اللحظة! بدأ الصباح يطل. ما أن تشمّ الكلب أثرها..

ماتيلده : لا تهمنا الآن كلا بك ولا الذئبة الرمادية. الآنسة حضرت من أجل الاهتمام بك.

بابلو : أدعوتها أنا؟

أنخلينا : يمكنك أن تكون أكثر لطفاً معها. قل لها شيئاً.

بابلو : مثلاً، ماذا أقول؟

أنخلينا : وما يدريني! انظرت إليها جيداً؟

بابلو : أفيها شيء غريب؟

ماتيلده : أنت ستقول، انظر إليها جيداً.

بابلو : (ينظر إليها مليّاً، ويدور حولها) بشس! بشس! لابأس بها. هي نحيلة قليلاً. اليس كذلك؟

ماتيلده : بابلو!

أنخلينا : لكن، ماذا ستظن بك الآنسة؟ أمعنت النظر في عينيها؟

بابلو : كيف لا! لها عينان اثنتان.

المذكورون وإوسوبيو للحظة.

إوسوبيو : سيد بابلو، سيد بابلو: "برناردو" لا يزال ينزف. توجد عضة في حلقه.

بابلو : سآتي فوراً. حضّر كمادات بالماء المالح (يخرج إوسوبيو)

ماتيلده : لهذا الأمر، يكفي إوسوبيو.ألا يمكن أن تدع كلابك هادئة وتهتم بالآنسة؟

بابلو : لا أرى أي داعٍ. هي لم يحدث لها شيء لكن الكلب ينزف.

مارغا : السيد على حق. اهتم، اهتم بكلابك، يا سيدي. أنا أستطيع الانتظار.

بابلو : سأعود فوراً. (يهمّ بالخروج بتوقّف) أستتغدين للغداء؟

مارغا : لا أعرف حتى الآن. إن شئت، يا سيد..

بابلو : سيان عندي تماماً. مائدة الطعام كبيرة وتفيض.

ما اسمك؟

مارغا : مارغاريتا.

بابلو : طويل جداً، إن شئت البقاء هنا، فسوف أسميّك مارغا.

مارغا : أهي نزوة؟

بابلو : لا شيء من النزوات. إذا كنتِ في ذلك الجبل، وكان عليّ أن أناديك فماذا تريدين أن أقول؟ مار-غا-ريتا. الأسماء الطويلة لا تصلح للصراخ. أما القصيرة. نعم. (يجعل من يديه بوقاً ويطلق صرخة باتجاه الجبل كالصهيل) مار-غا!!!! اتفقنا؟

مارغا : كما تريد يا سيد.

بابلو : هكذا يعجبني. النساء عليهنّ الطاعة. (يبتسم وهو ينظر من أعلى إلى أسفل) إلى اللقاء، يا نحيلة. (يخرج)

ماتيلده- أنخلينا ومارغا.

ماتيلده : يجب أن تعذريه، فالمسكين لم يتلق أية تربية أبداً.

مارغا : (ساكنة. تتابعه بالنظر) شيء لا يُصدّق.. لا يصدّق على نحو عجيب.

أنخلينا : هو فجّ قليلاً. أليس كذلك؟

مارغا : ينبغي العثورعلى كلمة أخرى. كذلك الحمامة فجّة أيضاً.

ماتيلده : لعلّه أخافك؟

مارغا : على العكس لم تطمئنّي نظرة إنسان مثل نظرته.

أنخلينا : إذاً، لماذا شحب لون وجهك؟

مارغا : لأنه أجمل إخفاق لقيته في حياتي. فالمتوحّش الذي رأى الشمس طالعة لأول مرة، لم يخرّ راكعاً. هذه المرة، الشمس هي التي رأت المعجزة. (تلتفت) كيف يمكن أن يحصل ما حصل لإنسان عيناه على هذا القدر من الصفاء؟

ماتيلده : عشرون عاماً قضاها في بيت جبلي دون أن يرى أحداً ما عدا أباه.

مارغا : لكن، لماذا فعل به أبوه ما فعل؟ هل فقد عقله؟ (الأختان تتبادلان النظرات وتطأطئان رأسيهما)

ماتيلده : نعم يا آنسة، نعم، لم أسمح لأحد أن يلفظ هذه الكلمة، لكن، هذي هي الحقيقة المحزنة.

مارغا : أكان مجنوناً؟

ماتيلده : ليس مجنوناً بالمعنى الذي يقوله الأطباء. جنون جنون رجل سلّم قياد نفسه إلى امرأة ثم رآها تخونه.

أنخلينا : مجنون باليأس وبالغيرة. مجنون بالحب.

مارغا : وهي؟

أنخلينا : هي كانت خفيفة العقل ملأى بالحكايات والأوهام. ولو أدركهما لكنا فقدنا ثلاثة أحياء بدلاً من عقل واحد. لكنه حين علم بالأمر كانا قد ابتعدا.

ماتيلده : انحبس هنا أربعة أسابيع محطماً كل ما يذكّره بها، محطماً رسائلها وصورها؛ ممزّعاً ثيابها بأسنانه، وكذلك كتبها، خاصة كتبها كأنها كانت هي المذنبة.

أنخلينا : لا تتخيّلي معاناتنا خلال ثلاثين ليلة ونحن نسمع نحيب رجل كبير يردّد كلمة واحدة فقط كصرخة حمّى: أديلائيدا... آديلائيدا... آديلائيدا..

ماتيلده : ذات فجر كفت الصرخة عن الدويّ. وسمعناه يصعد كلصّ ليخطف الطفل الراقد.

مارغا : ألم تستطيعا منعه؟

ماتيلده : كان مستحيلاً. "ابني لي وحدي". وكان يقول: "مسيحياً نظيفاً دون نساء ودون كتب سيكون حيواناً وحشياً، لكنه حيوان سعيد." لكنه لم يكن في أعماقه مجنوناً تاماً.

مارغا : أفهم عنف اللحظة الأولى، لكن، لماذا لم تطالبوا خلال عشرين عاماً بهذا الابن عن طريق القانون؟

أنخلينا : كان أقوى من أيّ قانون. وكان قادراً على قتله وقتل نفسه قبل أن يسلّمه.

ماتيلده : والآن، ختمنا القصة القديمة. هذا الشاب سيواجه حياته كرجل، وعلينا أن نعدّه لذلك، كأنما وُلد للتو.

مارغا : مسؤولية ثقيلة! أتعتقد أنّ باستطاعتي فعل شيء؟

ماتيلده : وضعنا ثقتنا كاملةً فيك. حاولي ذلك على الأقل.

أنخلينا : عمّا قليل سيعود. أعطينا ولو أملاً.

مارغا : من يدري.. (تبتسم) الخطر ليس كابحاً. بل يمكن أن يكون أحياناً إغراء.

ماتيلده : لماذا تبتسمين هكذا؟ أتسخرين منا؟

مارغا : كلا..! وإنما كنت أفكر بما قلتماه لي عند وصولي. لعله أقل فظاظة مما كان يبدو عليه. "أنا راكعة، لابسة ردائي الأبيض... تفتح الأبواب... الأسد يتقدّم.." (مصمّمة على شكل مفاجئ) اتركاني وحيدة معه.

الاثنتان معاً: شكراً لك يا آنسة شكراً!

ماتيلده : أيمكننا الصعود بالأمتعة؟

مارغا : اصعدا بها.

ماتيلده : ألم أقل لك يا أنخلينا؟ لا شك: إنه خط حرف T

أنخلينا : والنقطة، يا ماتيلده! النقطة العالية! (تخرجان مبتهجتين مع المتاع. تجلس مارغا مديرة ظهرها متظاهرة أنها تقرأ باهتمام كبير. يظهر بابلو وهو يقضم تفاحة يستند إلى الشجرة وينظر إليها مليّاً صامتاً. يناديها بصفرة صغيرة، دون نتيجة. يكرّر اللعبة. حينئذٍ يضع أصابعه في فمه ويُطلق صفرة راعٍ حادة. تنهض مارغا قافزة خائفة)

مارغا وبابلو.

مارغا : معذرة.. كنت مستمتعة بالقراءة جداً.

بابلو : كاذبة! شعرت بوصولي حقاً. زد على ذلك. كنت تنظرين بطرف عينك. العبي معي لعباً نظيفاً وإلا... (يفرقع بأصابعه)

مارغا : أنت على حق، يا سيد. الحقيقة هي أني لم أكن أعرف كيف أبدأ. هل الكلب في خطر؟

بابلو : أنت لم تري كلباً في حياتك، ولا يهمك ثور. لماذا تسألين هذا السؤال؟

مارغا : لأني أعلم اهتمامك به، يا سيد. أكانت حالته خطيرة؟

بابلو : لا خطر فيها. فركت جرحه بالملح والخلّ، والآن، كل شيء على ما يرام.

مارغا : لكنه تألّم كثيراً.

بابلو : بالطبع! وآلمني أنا أيضاً.

مارغا : ومع ذلك، لم أسمعه يشكو.

بابلو : ولأي شيء؟ الكلاب تموت أو تُعالج. لكنها لا تشكو. تعلّمي ذلك. (يقضم تفاحته، ثم يمدّها لها) أترغبين؟

مارغا : كلا. شكراً. وبعدها إلى طعام الغداء.

بابلو : وقت الأكل هو حين يشعر المرء بالجوع أنتِ ألستِ جائعة؟

مارغا : قليلاً ما أجوع.

بابلو : هذا شأنك، فليس فيك إلا عينان. ينبغي لنا أن نعتني بك أيضاً وإن آلمك. (يجلس على الأرض إلى جانبها، وهو ينظر إليها ساخراً بينما يخلع مهمازيه) حسن! حسن! حسن! أنت صامتة ور... نة جداً شأن من لا يرغب في الشيء. أليس كذلك يا معلمتي الصغيرة؟

مارغا : إنها مهنتي أتبدو لك سيئة يا سيد؟

بابلو : الأفضل أن نجعل الأمور واضحة منذ البداية. المعلمون مولعون بإصدار الأوامر بإسراف وهذا

لا يصلح معي. أنا صاحب الأمر هنا.

مارغا : بإمكاننا الوصول إلى اتفاق.

بابلو : ما هو؟

مارغا : أن نتخلى كلانا عن إصدار الأوامر. نستطيع ببساطة أن نكون صديقين جيّدين.

بابلو : صفقة رديئة. الأصدقاء يجب أن يقفوا على قدم المساواة وينظروا إلى بعضهم وجهاً لوجه.
أنت تخفضين عينيك حين أنظر إليك. وفوق ذلك أنت امرأة.

مارغا : أهو أمر سيء أن أكون امرأة؟

بابلو : أبي كان يقول ذلك، وهو كان يعرف دائماً ماذا يقول.

مارغا : وأنا أستطيع أن أقول الشيء نفسه عن الرجال. لكننا لن يكون أي منّا منصفاً. ألا تشعر يا سيد أنك وحيداً أكثر مما ينبغي؟

بابلو : في اللحظة الحاضرة، تخلّي فوراً عن مخاطبتي بـ "سيد" كنت أخاطب دائماً دون مجاملة أتسمعين؟ دون مجاملة حين أسمعك تقولين "يا سيد"، تبدو لي أنك تتحدثين إلى شخص آخر.

مارغا : كما تشاء.

بابلو : هكذا، له وقع أفضل! (يربّت بودّ على ركبتيها وهو ينهض)

مارغا : ألا تعتقد أننا بقليل من الإرادة نستطيع أن نكون صديقين جيّدين؟

بابلو : لا أثق بذلك، المعلمون الآخرون كانوا يبدؤون أيضاً البداية ذاتها. كثير من الضحكات الصغيرة، كثير من التربيت على جنبي؛ وما أن تغفل /زك/ حين يفاجئون بالنحو والصرف. لكن، على من؟

مارغا : أنا لا أريد أن أعلمك شيئاً لا ترغب فيه. لكنني أحاول أن أكون رفيقة لك.

بابلو : الوحدة ليست سيئة. أنا معتاد عليها.

مارغا : من قبل كان الأمر مختلفاً. كان أبوك إلى جانبك.

بابلو : هذا صحيح. معه كنت أحتاج شيئا. أما الآن فقد صارت الأيام أطول مما ينبغي.

مارغا : في صغرك، ألم يكن لك رفيق أبداً؟

بابلو : كان لي رفيقة إنها "روسينا" كانت عيناها خضراوين مثل عينيك.

مارغا : بنت؟

بابلو : بل ظبية. كانت تقيم العام كله معنا بوداعة

كسخلة إلى أن يحلّ الربيع.

مارغا : في الربيع كانت تترككم؟

بابلو : ألا تعرفين ماذا يجري في الجبل في الربيع؟

مارغا : لم أمكث مرة قط في الجبل.

بابلو : تمتلئ الحيوانات بالحمّى وهي تتنسّم الهواء الدافئ وتصبح نظراتها كنظرة بني البشر. وفي هذا الفصل يمنع قتلها. حينئذ كانت روسينا تجتاز السور وتجري باتجاه الغابة دون أن تلتفت.

مارغا : فهمت!

بابلو : وماذا تفهمين أيتها التعيسة مادمت لم تري شيئاً في حياتك؟ (حالماً) كانت جميلة تلك الليالي المقمرة وأنا أسمع خوار الذكور كأنها تشكو أو تتصارع حتى الموت بين الصخور. وحين تعود روسينا، لم تكن تعود وحدها. كانت تأتي وديعة من جديد وتستلقي قرب النار وهي تلحس صغيرها، عيناها شاردتان كأنها تتذكر. (صمت بسيط) كم ابناً لك.

مارغا : (تفاجأ) أنا؟ ليس لي أولاد.

بابلو : يا للغرابة! ولمَ؟

مارغا : نحن -النساء- علينا أن نتعلّم الانتظار.

بابلو : ومع ذلك، لك من العمر ما يكفي، ماذا كنت

تعملين كل هذا الوقت؟

مارغا : كنت أدرس في الجامعة.

بابلو : وفي الربيع أيضاً؟

مارغا : وفي الربيع أيضاً؟

مارغا : بالنسبة لنا، الربيع ليس مبرراً لترك الدراسة. فلو أخذت الأمر على هذا الشكل، لقال الناس عني إني امرأة سيئة.

بابلو : عجيب! روسينا كانت تعمل هذا كل عام، ولم نفكر أبداً أنها طبية سيئة.

مارغا : (تبتسم) ستأخذ بفهم ذلك حتى الآن، عاش كلّ منا في عالم مختلف عن عالم الآخر تماماً. هذي هي المسألة.

بابلو : وجيء بك إلى هنا لتنتزعيني من عالمي؟

مارغا : من يدري! الكتب (من فوق المنضدة) أمرجودة هنا داخلها؟ يسرّني جداً أن أراها. هذا الكتاب، مثلاً، ما هو؟

مارغا : إحدى روايات عمتيك.

بابلو : (يفتحه كيفما اتفق له) فلنر: اقرئي بصوت عال.

مارغا : "كانت الكونتيسة تبكي بمرارة في جناح القلعة الأيسر"

بابلو : لا تعنيني الكونتيسات الباكيات ولا جناح القلعة

الأيسر (يرمي الكتاب ويناولها كتاباً آخر) وهذا؟

مارغا : "البرابرة. سقوط الامبراطورية الرومانية الغربيّة"

بابلو : متى سقطت هذه؟

مارغا : منذ ألف وخمسمائة عام.

بابلو : أولم يجد الناس وقتاً كافياً لجعلها تنهض؟ (يرمي به) بُعداً للإمبراطورية الرومانية الغربية! ها نحن تخلّصنا من كتابين. وهذا عمّ يحكي؟

مارغا : إنه شعر.

بابلو : شعر؟ ماذا يعني هذا؟

مارغا : لا يمكن شرحه. أتحب أن تسمع؟

بابلو : هاتي (يقفز قفزة ويجلس على المنضدة وساقاه متصالبتان)

مارغا : ألا تشعر براحة أكبر لو جلست على الكرسي؟

بابلو : لو كنت أشعر براحة كبيرة على الكرسي لفعلت أم تظنيني غبيّاً؟ هيّا!

مارغا : (تقرأ بصوت عالٍ وواضح)

أي شيء هذا؟ قال طفل وهو يريني عشبة.

وماذا بوسعي أن أقول له؟

لأنني أنا أيضاً لا أعرف أن أقول ما هي العشبة.

ربما كانت راية حبٍّ

نُسجت بخضرة أمل.
أو كانت هديّة عطّرها أحدٌ
أو لعلّها منديل ألقى به
الله على الأرض للجميع.

بابلو : أو كانت هدية عطرًها أحد

مارغا : أولعلها منديل ألقى به
الله على الأرض للجميع.

بابلو : أولعلها منديل ألقى به..
(صمت جديد)

مارغا : أفهمتها الآن؟

بابلو : الآن أعتقد أني فهمت (ينهض ممسكاً بالكتاب) لم يكن غبيّاً من قال هذا. فهو يتحدّث عن الأشياء الصغيرة كأنها عظيمة. وفوق ذلك، لديه فضيلة الصدق.

مارغا : لماذا تقول هذا؟

بابلو : لأنني أعرف العشب مذ ولدت. كنت استنشق رائحته كل حياتي، بل كنت أمضغه بأسناني.. ومع ذلك: "ولا أنا أيضاً أعرف أن أقول ما هي العشبة" (يقلب صفحات الكتاب كأنه أفق مجهول) هل الكتاب كله هكذا؟

مارغا : كله هكذا. /الأرض والإنسان/ وجهاً لوجه.

بابلو : أنا واثق أنه كان سيعجب والدي. أيعجبك أنت أيضاً؟

مارغا : قرأته مائة مرة. هو بمثابة صديق لي.

بابلو : إذاً، ماذا سنفعل؟... (يبدو مهزوماً قليلاً) سأتعلّم القراءة.

مارغا : شكراً يا بابلو.

بابلو : لحظة! أيوجد في الكتاب حروف كبيرة؟

مارغا : (تبتسم) ولا حرف واحد، كن مطمئناً. الشعراء الكبار لا يحتاجونها.

بابلو : هذا أفضل. (يضع الكتاب على المنضدة باحترام. ثم يفتح كرسياً مطوّياً ويركب عليه)

مارغا : أتعلم أنك تقدمت كثيراً خلال وقت قصير؟

بابلو : بماذ؟

مارغا : بطريقة جلوسك. هي حتى الآن غير صحيحة، لكنك على الأقل. تجلس على الكرسي. أهنئك.

بابلو : لا تفرحي كثيراً. اللعبة لم تنته بعد. سأدعك تعلمينني القراءة لكن الكتابة، ولا كلمة عنها!

مارغا : ولم لا؟

بابلو : أتستطعين أن تعلميني لأكتب مثل هذا الكتاب؟

مارغا : كلا! أن تكتب مثله، بالتأكيد لا!

بابلو : إذا لم أكتب مثله، فما فائدة تعلم الكتابة؟

مارغا : يمكن أن تكون مفيدة. هي طريقة في مخاطبة الناس من بعيد. أتذكر ما قلته لي من قبل؟ إذ كنت في ذلك الجبل فسوف تناديني صارخاً مار-غا!!! لكن، إذا كان بيننا عشرون جبلاً، ماذا يفيدك الصراخ؟

بابلو : سأسعي باحثاً عنك على الحصان.

مارغا : وبدلاً من عشرين جبلاً، إذا كان يفصلنا عشرون بلداً وراء البحر، فماذا يفيدك الحصان؟

بابلو : (ينظر إليها بقلق) ماذا تعنين؟ أتفكرين بالرحيل؟

مارغا : هذا اليوم، ربما لا. يمكن أن يحصل غداً. ولا بد من أن يحدث ذات يوم.

بابلو : (عابساً) إذاً، لماذا جئت؟ إذا كان لا بد من رحيلك، فالأفضل أن يكون الآن في هذه الساعة ذاتها.

مارغا : افهمني يا بابلو. ليس الأمر كذلك. أنا أسألك ببساطة: إذا كنتُ بعيدة جداً، وأردت أن تناديني فلن يفيدك الصراخ ولا الحصان. لا بد لك من أن تكتب لي، ما رأيك؟

بابلو : أجيبي أنت أولاً. إذا كنتِ في آخر الأرض، وكتبتُ إليك ودعوتك، فهل تأتين؟

مارغا : من يدري!

مارغا : (تنظر إليه مليّاً. تغضّ من طرفها ومن صوتها) قد آتي!

بابلو : إذاً، لا بأس! علّميني الكتابة.

مارغا : شكراً لك مرة أخرى... أتريد أن نبدأ الآن؟

بابلو : (يتمشى مضطرباً) كلا! الآن، لا هذه أشياء جديدة جداً لا يتسع لها يوم واحد.

مارغا : أتفضّل أن نتحدث عن أمورك.

بابلو : أية أمور؟

مارغا : حياتك في الجبل... والدك.

بابلو : هذا نعم... أستطيع الكلام عن والدي طول حياتي دون أن أتعب

مارغا : أكنت معجباً به كل هذا الإعجاب؟

بابلو : (يعود إلى جانبها) كان عليك أن تتعرفي عليه. كأن طويلاً، قوياً، جميلاً.. كلمة الصدق دائماً على طرف لسانه كجمرة أو كسيجار. وحين كان يطلق الخيل، كانت أعتى الجياد ترتجف بين مهمازية. لكنه يجلس بعد ذلك قرب النار ويحكي لي قصصاً عجيبة، ويعلمني لغة الطيور.

مارغا : لكن، أيمكن تعلّم لغة الطيور؟

بابلو : هي سهلة جداً، ومكوّنة من أربع كلمات، واحدة للإنذار بالخطر. والأخرى دعوة للطعام،

والثالثة تلقيها الذكور للتحدّي، والرابعة دعوة للأنثى. ولأي شيء تريد المزيد؟

مارغا : وأبوك أكان يعرف لغة الطيور؟

بابلو : أبي كان يعرف كل ذلك. لكنني بعد أن عرفتكِ، لا أفهم لماذا كان يحقد على النساء كل ذلك الحقد.

مارغا : ألم- يحدّثك عن هذا أبداً؟

بابلو : أبداً. أحياناً كان يأتي بعض الأصدقاء ليصطادوا معنا؛ وكانوا يشربون الخمر ويتحدّثون عن النساء... لكن، ما أن يسمعهم والدي يذكروهن حتى يطلق كلمة جارحة قاسية كلكمة عمتاي تقولان إنها كلمة قبيحة لا ينبغي أن تذكر. أأقولها لك؟

مارغا : كلا! لا ضرورة لذلك. إني أتخيلها.

بابلو : ثم كنّا نمتطي حصانينا ونشرع بالعدو معاً ساعات وساعات وكأنه يحمل في داخله قوة رهيبة عليه أن يفرغها، إلى أن تغيب الشمس ونسقط من الإعياء فوق العشب. ماذا كان يسميه الشاعر هذا التعب؟

مارغا : منديل الله!

بابلو : إذاً، هكذا... (يتمدّ وعلى الأرض) كنا نتمدّد فوق

منديل الله ونر الليل يقبل حينئذ يأخذ أبي يردد بصوت عال أسماء النجوم: الدبران، اللؤلؤة، أندروميدا الشقيقات الثلاث؛ وفجأة ينقطع نفسه وكأنه لا يستطيع أن يتابع، ويلفظ اسماً آخر بصوت خفيض جداً، خفيض جداً: آديلائيدا. (ينهض فجأة) أتوجد نجمة تسمى آديلائيدا؟

مارغا : (تخفي وجهها متأثرة) لا أدري يا بابلو! مؤكد أنها موجودة.

بابلو : إذا لم تكن سوى نجمة، فلماذا، إذاً، كان والدي يبهر حين كان يقول "آديلائيدا"؟ أنت، يا من درست كثيراً: ألا تستطيعين إجابتي على هذا السؤال؟

مارغا : لست أدري. دعك من ذلك.

بابلو : (يمسك بها من ذراعها بقوة) لا! هكذا، لا ! ارفعي رأسك. (يرغمها على أن تنظر ويخفض من صوته) ماذا جرى لك يا مارغا؟ أنت تبكين... هل أسأت إليك بشيء؟

مارغا : على العكس. (تنهض) كنت أفكر أن الحياة يمكن أن تكون أجمل مما أظن؛ وأنني معلّمة مسكينة حمقاء جداً. جئت إلى هنا زاعمة أن أعلّم. وها أنا لا أعرف أن أداوي كلباً، ولا

أعرف لغة الطيور ولا أسماء النجوم.

بابلو : اقسمي أنك هكذا تفكرين فقط!

مارغا : أقسم لك. والآن دعني. هذا أول يوم أقضيه في الهواء الطلق. والشمس أصابتني بما يشبه الدوار.

بابلو : الحرارة مرتفعة حقاً. أتعرفين السباحة؟

مارغا : تقريباً. لماذا؟

بابلو : النهر على بعد خمس دقائق من هنا. أنذهب؟

مارغا : كلا! وشكراً. في المقام الأول سيكون الماء بارداً حتماً كالجليد.

بابلو : بالطبع. ولا تقولي لي أن استحمّ بالماء الحار كما تفعل عمتاي. وفي المقام الثاني؟

مارغا : في المقام الثاني: لم أحضر معي (مايوه) للسباحة.

بابلو : ولأي شيء؟

مارغا : لألبسه، لن أسبح عارية.

بابلو : آه! لكن، اتلبسين من أجل الغوص في الماء؟ هذا لم يحصل لي أبداً.

مارغا : هذي هي العادة عندنا.

بابلو : ولم لا تستطيعين السباحة عارية؟ ألست شابة سليمة وجميلة؟

مارغا : وإن كنت كذلك ليس بسببي، ولكن بسببك.

بابلو : آها! تبعاً لذلك، هذا أنا من يجب حرمانه من النزول إلى النهر.

مارغا : هذا شيء آخر، ستأخذ بتعلّمه سرّ واذهب إلى النهر وحدك. إلى اللقاء يا بابلو (تتجه صوب البيت. يُسمع في الجهة اليسرى غناء عصفور)

بابلو : انتظري. أتسمعين؟

مارغا : (تتنصّت لحظة) رائع، أهو عندليب؟

بابلو : عندليب؟ لكن، أية شياطين علّموك في الجامعة؟ إنه دنور.

مارغا : و...؟

بابلو : أتعرفين ماذا يقول؟ استمعي.

مارغا : (قلقة) كلا ، من فضلك.. لا تقل إن هذا العصفور يتحدّث إليك. فالأمر واضح لي تماماً!

بابلو : اسكتي... (يستمع ويعلّق مدهوشاً) غير ممكن!

مارغا : (ناظرة إليه وإلى العصفور. صوتها يكاد لا يسمع) لكن، أحقّاً أنك تفهم عليه..؟

بابلو : تمام الفهم. لكني لا أفهم السبب. لم يحنِ الوقت بعد (يسكت العصفور) ومع ذلك هذه الحرارة المفاجئة... وهذا الهواء المشتعل... (يفتح قميصه مضطرباً ويتنفّس بعمق) أية رائحة تُشتمّ هنا؟

مارغا : لا أدري. ربما كانت رائحة هذه الأغصان.

بابلو : (لوز مزهر) لوزمزهر! (مشرق الوجه) إذاً هذا الدنور على حق! إنه الربيع يا مارغا.

مارغا : حل الربيع؟ (تتراجع قلقة)

بابلو : الآن، فهمت سر هذه العقدة في الحنجرة وهذه القوة في العينين!

مارغا : أي عينين؟

بابلو : عيناك. لم أرد أن أقول ذلك من قبل بسبب الغرور. لكن لم يسبق لي أن رأيت شيئاً بهذا الجمال. (يتقدّم مفتوناً وعابساً) دعيني أنظر إليهما عن قرب شديد.

مارغا : (تلتجئ وراء المنضدة) شكراً، يا بابلو، لكن اذهب الآن إلى النهر. حمام بارد سيجعلك في أحسن حال.

بابلو : كلا! الآن! إذا ذهبنا إلى النهر فسنذهب معاً. (يتقدّم مصمّماً)

مارغا : (فيما يشبه الصراخ) من فضلك يا بابلو! نحن لسنا في الغابة ! (تحاول الهرب باتجاه البيت يسد عليها الطريق بقفزة)

بابلو : اهدئي!

مارغا : لاتجبرني على الصراخ!

بابلو : قلت اهدئي! (يضمها بعنف، مطبقاً على فمها بفمه حتى سيطر عليها ثم يبعدها بفظاظة) الآن، اصرخي إن شئت لكن، اعلمي أنّ صاحب الأمر هنا هو الرجل (يرمي بسترته أرضاً ثم يشرع بخلع قميصه) أنا بانتظارك في النهر. (يخرج تتبعه حتى منصف المسرح رافعة قفا يدها إلى فمها)

مارغا : متوحّش، فظ! (تخرج العمتان مذعورتين)

مارغا وماتيلده وأنخلينا.

أنخلينا : لا تقولي لنا شيئاً يا آنسة. لقد رأينا كل شيء.

ماتيلده : يا للوحش! وتجرّأ أن يقبلك بالقوة!

مارغا : (دون أن تلتفت، ناظرة باتجاه النهر) كلا! التقبيل لم يتعلّمه بعد... وإنما عضني.

ماتيلده : أعضك! آه، يا ربي مالك روحي! (تسقط خائرة على كرسي) أنخلينا!

أنخلينا : لا تقولي لي شيئاً. (تنادي بصوت عالٍ) إوسوبيو، هاتِ أمتعة الآنسة!

مارغا : أبداً... هذا أوان أن أبقى.

ماتيلده : أتبقين؟

مارغا : لا أدري إن كان عندي شيء أُعَلّمه هنا... لكن عليّ أن أتعلّم الكثير (يسمع صوت العصفور مرة أخرى. تلتفت مارغا صوبه) نعم، يا بني نعم، إنني

أعلم... إنه الربيع!

أنخلينا : لكن، إلى من تتحدثين؟

مارغا : إلى العصفور (تسمع صرخة بابلو الجبلية تهدر من بعيد)

صيحة : مار-غا!!! (مارغا مشرقة الوجه، ترفع يدها محيية وتجيب باللهجة ذاتها)

مارغا : با-بلووو!! (تخلع سترة السفر، وترمي بها إلى الأرض وتخرج راكضة نحو النهر. يستمر العصفور في الغناء بكل البطء البهيج لهذه العصافير الريفية التي رأت كثيراً)

ستار

الفصل الثاني

داخل البيت، في زمن لاحق. في العمق رواق من البلور يطل على الحديقة، يقابل مدخل البيت في الفصل الأول منظوراً إليه من الداخل في الجانب الأيمن مطلع سلّم له درابزون من قضبان خشبيّة ثخينة، وفي القسم الأول منه مدخنة من الحجر مع أدوات نحاسية.

في الجانب الأيسر: باب في القسم الأول، ودهليز في القسم الثاني. أخشاب ذات لون مخضرّ ذَمِيّ، ومخامل حمر، البيت كله يوحي بخشونة الأب الريفية، تخفف منها المطرزات والستائر والسجّاد المعلق على الجدران، ولطف العمتين.

إنها الساعات الأخيرة من مساء خريفي. العمة أنخلينا تجلس إلى منضدة طافحة بالكتب، والمجسمات الهندسية، ومخططات بالفحم، تراجع مسحورة رسوماً ودفاتر وهي تستمع إلى السيد رولدان بهدوء محبّب كأنها تسمع سقوط المطر. السيد رولدان يتمشى مضطرباً وهو يصرخ.

أنخلينا ورولدان.

رولدان : أوه! أنا لا أوافق على هذا!! إلى هنا تصل بنا

الأمور؟ يستطيع المرء أن يتفهّم بعض الأشياء ويجدلها عذراً. لكن طفح الكيل. ولتحمّل هذا كله أحتاج إلى كل صبر راهب فرنسيسكاني. وأنا ليست عندي نزعة الاستشهاد أتسمعينني؟

أنخلينا : (بتهذيب) أنا مسرورة جداً. أظنك وقعت في ورطة صغيرة مع الأخوة البندكيتيين والفرنسيسكانيين والشهداء لكنني متساهلة جداً في الأمور الدينية. تابع! تابع! (تتناول دفتراً آخر)

رولدان : إذا كان رأيي لم يعدله وزن في هذا البيت، فيجب عليّ أن أقدّم استقالتي. أيوجد مخرج آخر لإنقاذ كرامة مهانة؟ لا يوجد إلا الاستقالة.

أنخلينا : نعم، يا سيد، هذا جيد جداً!

رولدان : آنسة انخلينا، أتسمعينني نعم أم لا؟

أنخلينا : معذرة، أكنت تقول...؟

رولدان : كان عليّ أن أتخيّل ذلك، منذ نصف ساعة وأنا أقدم لك استقالتي لكن، لأي شيء؟ حين تنظرين في دفاتر "طفلك"، حتى انفجار غاز لن يلفت انتباهك.

أنخلينا : (تتنبّه لحظة) ماذا تقول لي؟ أحصل في البيت انفجار غاز؟

رولدان : حتى الآن، لا. لكن، إن ظلت الأمور على ما

هي عليه، فلن أستغرب أن يحصل ذلك ذات يوم.

أنخلينا : لا بأس عليك، لا بأس. لا ضرورة للمبالغة فقد يكون بابلو أشدّ تمرّداً مما تريد، لكنك لن تنكر أنه فتى مدهش.

رولدان : أيبدو لك مدهشاً أن يدخل مكتبي على متن حصانه؟

أنخلينا : غير معقول... إنه شيطان؟

رولدان : أتبدو لك طريقة صحيحة أن يناديني بقذف نافذتي بالحصى وقت القيلولة؟ لم يبقَ لوح بلور واحد سليماً في الجناح كله.

أنخلينا : أحقاً؟ ما أروعه! عليك أن تفهمه، هي كل ما لم يستطع تحقيقه حين كان صغيراً وبقيت راقدة في داخله. أنت نفسك: أما كنت ترمي الزجاج بالحصى حين كنت صغيراً؟

رولدان : ممكن يا سيدتي لكنني حين كنت صغيراً، ولم يكن عمري خمسة وعشرين عاماً. وليت الأمر اقتصر على البلّور.

أنخلينا : أهناك شيء آخر؟

رولدان : كل شيء. هذا الصراخ الجبلي كصراخ الراعي. وسوء تقديره للأشخاص العقلاء

خاصة هذه الطريقة الرهيبة بقوله دائماً كل ما يفكر به.

أنخلينا : هذا صحيح. وهو عيب عنده لم نجد وسيلة لإصلاحه، ولم نستطع ثنيه ليقول "السيد المدير" حين يجري ذكرك. يقول دائماً "هذا الثعلب العجوز."

رولدان : أهذا جزائي؟ لماذا هذا الحقد عليّ؟

أنخلينا : (مستغرقة في دفترها) مدهش!

رولدان : أهذا ما يبدو لك؟

أنخلينا : مدهش بالأمور التي تحدث له وأسلوبه الخاص بالتعبير عنها، وهذا الحرف، أأمعنت النظر إليه؟ يشبه خطها لكنه مكتوب بيد رجل. قل لي: أوروبا: أتكتب بحرف صغير؟

رولدان : بل بحرف كبير.

أنخلينا : كنت أخشى ذلك وأمريكا أيضاً. أليس كذلك؟

رولدان : بالطبع! ولم ينبغي أن تكون أمريكا أقل من أوروبا؟

أنخلينا : طريف! كل الأشياء الكبيرة يبدؤها بحروف صغيرة. وعلى العكس من ذلك، كلمة امرأة يبدؤها دائماً بحرف كبير، أخطر ببالك ماذا يعني ذلك؟

[illegible]: كيف لا: ثلاثة أخطاء كتابية.

[illegible]: أخطاء كتابية، ربما لكن يا لها من أناقة ابيعية!

[illegible]: هذا ما ينقصني أن أسمعه! أتعدّين هذه الـخربشات مثلاً للأناقة. أتظنّين أنه يمكن بهذه الطريقة أن يظهر في المجتمع؟

[illegible]: لدينا مزيد من الوقت. ما يهمّنا الآن الروح. "الأناقة" تأتي فيما بعد.

[illegible]: يعني: أتبدو لك جيّدة هذه القريبة التي تقدم له دائماً وفق نزواته؟

[illegible]: ولمَ لا؟ إن كان سعيداً بذلك. ألست موافقاً على منهج الآنسة لوخان؟ أم أن عندك شيئاً شخصيّاً ضدها؟

[illegible]: ببساطة، أفعالها فقط، الأفعال ما يهمني، دخلت هذه الآنسة هذا البيت منذ ثمانية شهور وماذا كانت النتيجة؟ بابلو ما يزال متوحّشاً مثل أول يوم. وهي، على نقيض ذلك، تعلّمت استخدام البندقية وصيد سمك القروتشا بيدها تحت الماء، ومن يربيّ من؟

[illegible]: الآنسة لوخان تعرف مهنتها، وتعلم بالضبط ما تقوم به، إذا أردت نصيحة صادقة فلا تتدخّل

بمجال غيرك، وعد إلى أرقامك.

رولدان : أرقامي لم تعد أرقامي أيضاً، لقد غزيت في صميم عملي.

انخلينا : أغزته الآنسة؟

رولدان : بل هذا المتوحش. منذ زمن وهو لا يعمل شيئاً إلا تقليب أوراقي، ومراجعة مصنفاتي، وتسجّيل الملاحظات. أيمكنني أن أعرف عما يبحث؟

انخلينا : (تبتسم بخبث) آه! الآن صرت أفهم هذا "المتوحش" المسكين الذي تعلّم خلال ثمانية شهور ما تعلّمته أنت خلال نصف حياتك ، يسعى إلى مراجعة حساباته. وأنت بالطبع ساورك خوف شديد منه، أليس كذلك؟

رولدان : انظري يا سيدة. صبري ليس له حدود. لكن كرامتي، نعم، إن كنت فقدت ثقتكم فإني آسف لذلك. لكنني سأرى نفسي مضطراً إلى أن أقدّم الآن وفوراً وبصورة لارجعة فيها...

انخلينا : نعم، نعم، أعلم: استقالتك، تتحدّث دائماً عن استقالتك إليّ لماذا لا تتحدّث بذلك إلى أختي ماتيلده؟

رولدان : (يجفّف العرق عن جبهته النبيلة) الأمر مختلف. أختك تبغضني. هي قادرة على نسيان عشرين

عاماً من التضحية في دقيقة واحدة. (تدخل ماتيلده من الحديقة حاملة أزهار المستحية تنسقها في زهرية وهي تتكلم)

أنخلينا و رولدان وماتيلده.

ماتيلده : مساء الخير! مالكما، أتتشاجران كالعادة دائماً؟

رولدان : على العكس، الآنسة أنخلينا وأنا متفقان على كل شيء.

أنخلينا : على كل شيء، غير صحيح السيد رولدان لا يوافق تماماً على حصيلة تربية بابلو.

ماتيلده : أيبدو لك أنه تعلم قليلاً خلال ثمانية أشهر؟

رولدان : في الكتب تعلم كثيراً وبإفراط، لكنه اجتماعياً، أمر آخر. كيف تتخيّلينه في اجتماع سيدات أو شرفة في أوبرا؟ سيكون كحصان طليق وسط آنية من الفخار.

ماتيلده : حصان! أطلب إليك سحب هذه الكلمة فوراً.

رولدان : ليست كلمتي. إنها كلمة معلّمته ذاتها.

ماتيلده : الآنسة لوخان لم تقل حصاناً. بل سنتور(٧)

رولدان : هما سيّان، في نظري، السنتور ما هو إلا حصان بالمعنى الأدبي

---

(٧) ... جسم حصان ورأس وجذع إنسان.

ماتيلده : لك أفكار شخصية جد أحول الميثولوجيا.
وقياساً على ذلك، أتجرؤ على أن تلاحظ أن حورية ليست إلا سمكة؟

رولدان : لا دافع عندي لتفهم الميثولوجيا لكن الناس تحدثوا عن الحوريات وحذار حذار من أن تكون أسماك خطرة. والطعم الموضوع في الشص ثروة كبيرة.

ماتيلده : دون كلمات غامضة. أتحسن صنعاً فتوضح لي قصة صيد السمك هذه؟

رولدان : (ينتفض كقط محاصر) بكل سرور هي قصة تتضمن سؤالين: من صاحب الأمر في هذا البيت؟ بابلو: وهو إنسان غير مسؤول. ومن يأمر من خلال بابلو؟ هي وهي امرأة لا يُعرف من أي أرض طلعت. هل أنت بحاجة لأقول لك الحكمة من ذلك؟

ماتيلده : (عاصفة تقبض على الزهرية) الحكمة سأقولها لك أنا دون كلمات (ترفع الفخارة توقفها أنخلينا مرتاعة)

أنخلينا : ليس بهذه يا ماتيلده. إنها إرث من جدتنا.

ماتيلده : هذه الفخارة كانت لجدتنا؟ (تتماسك بجهد) سيد رولدان، أحمد الله على هاتين النعمتين: أنني لم

أخلق رجلاً... وأن الزهرية إرث من جدتنا.
يمكنك الإنصراف (تتأهب لوضع الزهرية بود. يدخل إوسوبيو من الدهليز)

المذكورون وإوسوبيو.

إوسوبيو : سيدتي: السيد رولدان وصل للتوّ. إنه يغلق على العربة.

ماتيلده : -(مدهوشة) السيد رولدان؟ أي سيد رولدان؟

إوسوبيو : ابن أخيك.

ماتيلده : ابن أخي؟ أيّ ابن أخ؟

إوسوبيو : ابن السيد.

أنخلينا : فهمنا السيد رولدان "الابن"، حسب تعبير الملكة فيكتوريا.

ماتيلده : أية ملكة فيكتوريا؟

أنخلينا : ملكة بريطانيا.

ماتيلده : آها! معنى ذلك أنك تسمح لنفسك بدعوة ضيوف إلى البيت دون استشارتي؟

رولدان : أقسم لك إني لم أكن أتوقع وصوله. كتبت له منذ فترة، لكنه كان مسافراً. وها هو أول جواب منه.

ماتيلده : لا بأس! (على ـــن فيكتوري) فليدخل؛ السيد رولدان الابن بحرج إوسوبيو) بوصول هذا الفرع

الآخر من العائلة، افترض ألا تضف ... ابحاً حميماً على الزيارة.

رولدان : لا لزوم لذلك. هي ببساطة مسألة ... . لا تنسي أن ابني هو محامي البيت.

ماتيلده : مؤكد. لقد نسيت هذا التفصيل الـ ... . الأب مدير، والابن محام. إذاً، اقتسمتما العمل على شكل استراتيجي. أليس كذلك؟ (يدخل خوليورولدان. لا يزال شاباً انيقاً. لكن بسمة واضحة الزيف)

ماتيلده. أنخلينا ورولدان وخوليو.

خوليو : رائع! بعد كل هذه الأسفار والفنادق، ما أحلا العودة إلى البيت العائلي!

(يعانق أباه الذي كان أقربهم إليه) كيف صحتك اليوم؟

رولدان : لا بأس، يا بني، لا بأس.

خوليو : عزيزتي العمة أنخلينا دائماً مبتسمة وشابة. (يعانقها ويقبلها بصخب)

أنخلينا : شكراً يا خوليو.

خوليو : العمة ماتيلده! (يمدّ لها يده. تسحب هي يدها بشكل ملفت للنظر)

ماتيلده : دون كلمة عمة. يكفي ماتيلده. والأفضل: " ... " ثانيا.

خوليو : لا زلت بأحقادك القديمة؟ لكن، إلى متى؟

ماتيلده : من جهتي، إلى الأبد إن أراد بابلو الإعتراف بك واحداً من أفراد العائلة، فهذا شأنه. أنا يمكن أن أتكسّر، لكنني لا أنثني.

أنخلينا : من فضلك، بعد كل شيء. الشابان أولاد خوولة. فأي ذنب لهما في هذا؟

ماتيلده : كفى! أنت تكلّمت أكثر مما ينبغي.

أنخلينا : لكنني لم أتكلم سوى أربع كلمات تقريباً.

ماتيلده : حين تتكلّمين أربع كلمات، ثلاث منها زائدة. (لخوليو) أما بشأن المجاملات فأقل حوار هو الأفضل: "أنت قمت بسفر رائع. لم تنسنا لحظة واحدة. وصحتي جيدة. وشكراً.

خوليو : بصراحة، ما كنت أتوقّع هذا. بوصولي ظننت أنني قادم إلى بيتي.

ماتيلده : هذا ما سيقوله بابلو. من جهتي، آسفة لعدم تمكني من الجلوس معكم على المائدة. لكنني واثقة أني سأصاب هذه الليلة بصداع عنيف.

أنخلينا : وأنا، أينبغي أن يؤلمني رأسي أيضاً؟

ماتيلده : أنت، سيؤلمك كبدك. ستكونين على أفضل حال، السيد المدير. السيد المحامي: "وداعاً"! هيّا بنا يا صغيرتي. (تصعد بكبرياء مع أختها. خوليو

ينظر إليهما تخرجان، بينما يعلّق بشكل مكتوم ويشعل سيجاره)

رولدان وخوليو.

خوليو : يا لك من أفعى مضحكة! ساحتل ذات يوم هذا البيت، وتُطردين أنت إلى الخارج. (يلتفت) يبدو أن الأمور صارت صعبة هنا.

رولدان : أكثر مما تتخيّل أتلقّيت رسالتي؟

خوليو : هذا ما أدهشني. لماذا هذا الاستعجال؟ لا تقل لي إن هاتين العانستين الحمقاوين أثارتا فيك الخوف!

رولدان : ليستا هما. وإنما هو صار مصدر الخطر.

خوليو : بابلو؟ هذا المتوحّش الذي لا يعرف حتى أن يكتب اسمه؟

رولدان : أي، يا بنيّ! هذا كان من قبل، في الأوقات السعيدة، الآن ضع بين يديه كتاباً في القانون، وستجده في اليوم التالي قد حفظه.

خوليو : ليس الأمر كذلك. أتظن أنه يشتبه بشيء؟

رولدان : ربما. بوجود أب مجنون وابن تحوّل إلى بهيمة، كانت ثقتنا بأنفسنا مفرطة والآن يجب مراجعة كل شيء من الأساس: العقود، والرهون وتواقيع الأب.

خوليو : دون اضطراب كل شيء مكتوب على شكل قانوني تماماً.

رولدان : من حيث المظهر، نعم. لكنّ عشرين عاماً في الجبل ألبسته حاسة شم كلب يجري منقباً نابشاً ليرى ماذا يوجد تحت.

خوليو : المهم الآن، ليس هذا البائس المغفّل، وإنما هي.

رولدان : هي؟ من؟

خوليو : هذه المعلّمة الصغيرة التي هبطت من السماء. حسب المعلومات الواردة في رسالتك، لا يوجد أدنى شك إنها مرغريتا لوخان، فتاة وحيدة، الجامعة..

رولدان : أتعرفها؟

خوليو : كنا صديقين حميمين:أتذكّر ما عانته كي تنهي دراستها لم يكن في جيبها سنتيم واحداً أبداً.

رولدان : من هذا الجانب، لا تنسج أوهاماً. امرأة من هذا الطراز لا تشترى بالمال إنها مفرطة بكبريائها.

خوليو : حين عرفتها، كان عليها أن تبيت ليالي كاملة دون أن تتناول فنجاناً من القهوة حينئذ لم تكن متكبّرة، دعها لي، متى ينتهي الأجل الأخير؟

(يُسمع من جهة العمق نباح كلاب بعيدة)

رولدان : اسكت! بابلو هنا. هيّا بنا إلى مكتبي.

خوليو : (يخرج مع أبيه عبر الدهليز) مرغريتا لوخان... أتذكرها وكأني أراها أمامي، عيناها جميلتان خضراوان... مرغريتا لوخان! (المسرح خالٍ للحظة... النباح يقترب تسمع صفرة ثم صوت مارغا وهي تهدّئ الكلاب.)

صوت مارغا: تعال هنا يا "فيرمين" اهدأ يا جرو، اهدأ. هكذا! (عمق المسرح يُفتح فجأة وتدخل مارغا وتغلق الباب وراءها فوراً النباح يأخذ بالخمود في الخارج. تتنهّد بمرح وقد أعيت من طول ما جرت، تحمل ثمرة تقضمها كما كان يفعل بابلو في الفصل الأول. تنزع البندقية عن كتفها، وتلقي بها على إحدى الكراسي دون أن تنظر. تدنو من المنضدة وتجلس على طرفها وتتصفح دفاتر ورسوماً ملتقطة أنفاسها من حين لآخر تبدو عليها أمارة دهشة وصيحة مطمة راضية. تشرع بالتصحيح وهي تصفرّ من بين أسنانها بينما تقوم بعملها. تنظر فيما حولها وكأنها تخشى أن يراها أحد، تضع إصبعها في فمها وتحاول أن تصفرّ على شكل حاد دون أن تنجح تجرّب ذلك مرّة أخرى)

مارغا وحيدة ثم أنخلينا في الحال.

مارغا : هذا عبث. لن أتعلّم هذا الصغير أبداً. (تتابع التصحيح وقضم الثمرة في السلم تظهر العمة أنخلينا)

أنخلينا : أأنت وحيدة؟

مارغا : مساء الخير، يا أنخلينا.

أنخلينا : (وهي نازلة) ظننته هو من وصل مع الكلاب، أما عدت تخافينها؟

مارغا : الآن صرنا أصدقاء كباراً. كنا عند البحيرة، نطلق النار على البط.

أنخلينا : وبابلو؟

مارغا : انحبس في المكتبة ليدرس. (تغلق الدفتر وتقترب هامسة) أكلمت العمة ماتيلده؟

أنخلينا : حاولت إقناعها. لكن، أنت تعرفينها هي لا تزال عند فكرتها بأن الأفضل ألا نحدّثه عن أمه أبداً.

مارغا : من قبل كان ذلك ممكناً. لكنه يعلم الآن أن الأم أكبر من مجرّد كلمة منسية، يريد الآن أن يعلم من كانت أمه. وليس من حقنا أن نظل ننكر عليه حقه.

أنخلينا : لا أظنّ انه خطر لك أن باستطاعتنا أن نقول له الحقيقة!

مارغا : هذا ما أحاول تجنّبه تحديداً: إذ بإخفائها سيرتاب بالأمر كيف سنبرر عدم بقاء أيّ شيء بالبيت خاصّ بها؟

أنخلينا : هل عاد يسألك؟

مارغا : دائماً يحتاج إلى أن يمسك بيديه شيئاً كانت لمسته هي بيديها، تذكاراً مهما يكن صغيراً... يجب أن تساعديني يا أنخلينا.

أنخلينا : قلبت كل الخزن والصناديق العتيقة.

مارغا : ألم تعثري على شيء؟

أنخلينا : أشياء صغيرة: صندوق ياباني، علبة موسيقى وميدالية فيها صورة.

مارغا : صورتها؟

أنخلينا : صورتها معه حين كان في الرابعة من عمره.

مارغا : لكن هذا كنز. أيمكنني نقل ذلك لبابلو؟

أنخلينا : دون إذن ماتيلده؟

مارغا : تشجعي هذه المرّة لا يمكن أن تكوني على هذا القدر من التواضع.

أنخلينا : ليس تواضعاً يا بنيّتي في جوهره، هو راحة. أنا خلقت لأطيع. وهذ أجلب للهدوء. أختي على نقيضي، من تلك النساء اللواتي خلقن ليأمرن. ما جرى هو أن زواجها دام ثمانية أيام، ولم يُتح لها الوقت لإبراز سيطرتها. (نسمع في الداخل صيحة بابلو مناديا)

صياح : مار– غا!!!!

مارغا : (تجيب بالطريقة ذاتها) بـا-بلـووو (سرعة- ترافقها) هاتي كل شيء من فضلك.

أنخلينا : وإذا علمت ماتيلده؟

مارغا : اطمئني أنا المسؤولة. (تختفي السمة أنخلينا داخل السلم وقت دخول بابلو من القسم الأول في الجانب الأيسر يحمل كتاباً كبيراً وكتباً أخرى أصغر منه، لكنه مبتهج وضاحك كعادته، حوار سريع متألق النبرة وكأنهما يتحادثان من بعيد)

مارغا وبابلو

بابلو : أين كانت قائدتي خلال القرون الأربعين الأخيرة؟

مارغا : أجري في الجبل مع برناردو وفيرمين.

بابلو : أكان الصيد وافراً؟

مارغا : الجرو اصطاد أرنباً وهو يجري.

بابلو : ممتاز! عشر علامات للجرو. مسرورة؟

مارغا : بل سعيدة. أدخلت في دمي هواء الغابة كله، وإني جائعة جوعاً شرساً.

بابلو : جيد جداً. أمنحك رتبة الشرف!

مارغا : شكراً، يا معلّم. (يسلّمان على بعضهما بصفق الأيدي. الحوار راح يأخذ منحاه الطبيعي شيئاً فشيئاً) وأنت؟

بابلو : مكثت أدرس خمس ساعات متتاليات. امتلأ رأسي وفقدت شهيّتي كلها.

مارغا : إذاً، كلّ شيء يسير على ما يرام. كل واحد في موقعه. ما هو جديدك الأخير؟

بابلو : (واضعاً الكتب على المنضدة) كتابان جديدان وهذا الدفتر اصطدته في مكتب المدير.

(يفتح الكتاب الكبير ويتصفّحه بينما يتابع الحوار) .

مارغا : أمهمّ موضوعه؟

بابلو : مثير؛ الميزانية العامة: (الدخل والنفقات)

مارغا : أتعجبك الأرقام كثيراً؟

بابلو : هي كالكلاب، أحياناً تعضّ، لكنها وفيّة دائماً. لحظة: أنت علمتني الجمع أولاً، ثم الطرح بعده. أليس كذلك؟

مارغا : هذا هو النظام المتبّع لماذا؟

بابلو : لأن هذا الثعلب العجوز، كما يبدو، تعلّم العكس (يطوي الصفحة ويرمي بالكتاب على المنضدة) سنتواجه يا رفيق.

مارغا : والكتب الأخرى، ما شأنها؟ .

بابلو : أخذت من كل شيء بطرف. أما مالم أستطع ختمه فهذه الرواية المضجرة للغاية. فهيا تغيير كبير في الأشخاص، لكن الحيل نفسها تتكرر

دائماً، وكذلك السرقات والجرائم..

مارغا : أية رواية؟

بابلو : هذه! "تاريخ العالم" أيعجبك التاريخ؟

مارغا : على شكل عادي. وأنت؟

بابلو : هو تضخّم في الذاكرة، ولا شيء من الخيال. لكنّ هذا الكتاب يختلف. لقد أمتعني حقاً.

مارغا : (تنظر إلى الكتاب) آه! "الحياة حلم"

بابلو : الآن فهمت لماذا كان أبي يدعوني أحياناً: سيغسموندو: إنسان عظيم، سيغسموندو هذا. ما رأيك؟ (يجلس على الكرسي، لكن بشكل معكوس) أشاهدت هذه المسرحية ذات مرة؟

مارغا : ذات ليلة لا تنسى! كنت ما أزال طالبة.

بابلو : يطيب لي أن أذهب إلى المسرح معك، آخذاً بذراعك وأرى الشوارع المضاءة والنوافير التي تطلق الماء إلى الأعلى، لا بدّ من أن يكون ذلك رائعاً!

مارغا : لا يزال الوقت مبكراً على هذا. تحتاج إلى مزيد من التقدم.

بابلو : (ينهض مصمّماً) ولم لا يكون هذه الساعة نفسها؟

مارغا : رجال المدن شيء آخر، إنهم قادرون على

الضحك منك.

بابلو : يضحكون مني؟ ولم؟

مارغا : هناك يضحك المغفّلون دائماً من الأذكياء. وهذا هو انتقامهم.

بابلو : لكنهم معي، عليهم أن يفكروا بالأمر مرتين. أترين هذه القبضة؟ ستوجّه إلى أول من يجرؤ على ذلك.

مارغا : لهذا السبب نفسه، لا تستطيع الذهاب حتى الآن.

بابلو : سئمت الانتظار. إذا كنت لا تريدين الذهاب، فسأذهب وحدي.

مارغا : اسمع يا بابلو. أتثق بي؟

بابلو : ثقة كاملة.

مارغا : إذاً، انتظر. أنا أطلب منك ذلك. (ترى العمة أنخلينا عائدة) اليوم ستحصل على ما هو شيء أهم من رؤية النوافير والشوارع المضاءة.

بابلو : ما هو؟

مارغا : العمة أنخلينا ستقول لك.

بابلو ومارغا وأنخلينا.

أنخلينا : إنها ذكريات من والدتك. هذا ما استطعت العثور عليه. (ينظر بابلو إلى الأشياء بانفعال عميق

دون أن يجرؤ على لمسها)

بابلو : هذه الأشياء من والدتي؟ هل أمسكتها بيديها؟

انخلينا : هي أشياء قديمة لا قيمة لها. لكنها كانت تحبّها كثيراً.

بابلو : أي شيء هذا؟

انخلينا : علبتها الموسيقية، لا تحتاج إلا أن تضغط هنا (تطلق العلبة الموسيقية صوتاً بلّورياً طفولياً. يأخذها بابلو بين يديه وينظر إليها مدهوشاً وهو يستمع)

بابلو : أكانت أمي تسمع هذه الموسيقا؟

مارغا : حين كانت تشعر بالوحدة وهي تقرأ... وحين كانت تدخل لإيقاظك.

بابلو : لكن هذا معجزة يا مارغا! ذلك كأني أسمعها هي نفسها... كأني أراها أول مرة جالسةً تفكر وكتابها بيدها... (يضع باحترام عميق علبة الموسيقى التي ظلت تطلق نغمها على المنضدة حتى حلّت ربطة الحبل) وهذا الشيء الآخر.

انخلينا : شيء بسيط. لعبة يابانية من ذلك العصر يلمس اولب تنطلق من العلبة الكبرى علبة أخرى أصغر، ثم أخرى أصغر من الثانية وهكذا... إنها لعبة حمقاء لم أفهمها أبداً.

مارغا : مؤكد أنها اشترتها لك.

بابلو : وهذه الصورة؟ (يضع الصندوق) ومن هذه المرأة؟

أنخلينا : أمك. صورتها معك منذ عشرين عاماً.

بابلو : معي! انظري إليها يا مارغا! (بفرح يكاد يكون صراخا) معاً، معاً! (يضغط بالصورة على صدره. تتبادل المرأتان النظرات متأثرتين)

أنخلينا : أتحب أن ندعك وحيداً؟

بابلو : نعم، من فضلك. أما مارغا، لا ومعذرة يا عمتي. معها أشعر كأني مع ذاتي. أتفهمين؟

أنخلينا : أفهم، يا بنّي، أفهم. (تتأهّب للخروج)

بابلو : انتظري (يعانقها بقوة) شكراً يا عمة أنخلينا، أنخليكا. أنخيلوتشا... يا ملاك!

أنخلينا : (مختنقة) كفى! لقد خنقتني... أيها المتوحّش. (وهي خارجة) الوحش الحبيب!

مارغا وبابلو.

بابلو : (بابلو يجلس ويتأمل الصورة. ويحاول أن يبتسم. أحس بالخجل إذ تبللت عيناه اللتان ينظفهما بيده) أنا أبله! ولا أدري ما جرى لي. أكاد لا أراها.

مارغا : ولا تبال: خلال لحظة ستراها على شكل أفضل. (تجلس إلى جانبه)

بابلو : لا أدري كيف أشرح الأمر لك. أنتِ ألفتِ

رؤيـة أمّك علـى شـكل تلقـائي وبالعـادة أمـا أنــا فكأنما ولدت للتو. ما لون عينيها؟

مارغا : زرقاوان!

بابلو : زرقاوان؟ (ينظر بإمعان إلى عيني مارغا ثم يُرجع النظر إلى الصورة. لعبة يكررها على طول المشهد) يا للغرابة! كنت أعتقـد دائمـاً أن العينيـن الجميلتيـن هما دائماً خضراوان!

مارغا : شكراً لك.

بابلو : زرقـاوان!... لـم أر أبـداً عينيـن زرقــاوين. والشعر؟

مارغا : كستنائي فاتح.

بابلو : كشعرك.

مارغا : شعرها أطول وأغزر من شـعري. تلـك عـادة العصر.

بابلو : لكن شعرك يفوح برائحة الغابة.

مارغا : كنـت أجـري هــذا المســاء كلــه بيـن غابــات الصنوبر.

بابلو : أأمعنت النظر في يديها؟

مارغا : هما ناعمتان صغيرتان، كالخزف.

بابلو : ويداك أيضاً. هما بوسعِ يدٍ واحدةٍ من يدي. ألا تزعلين لو قلت لك شيئاً؟

مارغا : (تبتسم) لست بحاجة لتقول لي ذلك. هي أجمل مني بكثير.

بابلو : أحقاً، لا يزعجك هذا؟

مارغا : على النقيض من ذلك. يفرحني أن أراك فخوراً بأمك.

بابلو : وأنا؟ أأبدو جميلاً في هذه الصورة؟

مارغا : سحر خالص.

بابلو : إذاً، لماذا تبتعدين عني في النهر؟ وأنا في الصورة عارٍ أيضاً عرياً كاملاً.

مارغا : الأمر مختلف، في الصورة، كان عمرك أربع سنوات.

بابلو : آه، أهي مسألة زمن؟ في سن يصبح المرء غير أخلاقي؟

مارغا : حسب الشخص... بعضهم في الحال... أنت لم تصبح بعد.

بابلو : وأنتِ، أصبحت؟

مارغا : أنا، لماذا؟

بابلو : إذا كنا لا نستطيع التعرّي في النهر، وأنا لم أصبح بعد لا أخلاقياً... أحدنا يجب أن يكون لا أخلاقياً. أأنت؟

مارغا : لم يخطر ببالي هذا أبداً... لكنه ممكن.

بابلو : لا، هذا، لا، أجيبي بوضوح، أهو سؤال صعب جداً؟

مارغا : السؤال ليس صعباً. حين يتعلّق الأمر بالأخلاق تكون الإجابات صعبة.

بابلو : لماذا؟

مارغا : لأننا نتكلّم حتى الآن اللغة ذاتها، فكل ما أعجز عن فهمه، يبدو لك طبيعيّاً، والعكس صحيح.

بابلو : كلا! يا مارغا. هذا غير صحيح. ما يجري هو أنكم تحكون دائماً عن كلمات، بينما أتكلّم أنا عن أشياء.

مارغا : ماالذي تسميه "أشياء"؟

بابلو : كل ما يستطيع المرء أن يفهمه لوحده دون أن يشرحه له أحد.

مارغا : مثلاً؟

بابلو : أولاً، هناك الأشياء الصغيرة. هذه اليد الدافئة، برد الشتاء، وقمر الليل. وهناك بعدئذ الشيئان الكبيران اللذان يجعلان المرء يرتعد: الموت والله.

مارغا : (تنظر إليه مدهوشة) أتعرف أن تقول ما هو الموت؟

بابلو : رأيته مراراً وتكراراً عن قرب. المرة الأولى

حين كنت في الثامنة من عمري. أتتذكرين أنـي حدّثتك عن روسينا؟

مارغا : الظبية التي كانت تفرّ إلى الغابة في الربيع؟

بابلو : ذات مساء كنت وحيداً، ورأيتها قادمة تجـرّ نفسها جرّاً، وفي خصرها بقعة حمراء، حاولت أن أنظّف تلك البقعة، لكنّها كانت تنظـر إلـيّ بعينين حزينتين وكأنها تقول: "لا تتعب نفسك يا صغيري؛ لا جدوى من سعيك" واضطجعتْ قرب النار تنتظر. وأحسست فجأة أن شيئاً بارداً غامضاً يخترق الباب، وأن أمراً رهيباً سيحدث أمامي دون أن أستطيع حياله شيئاً. وهكذا وقفت ارتجف في إحدى الزوايا حتى أدركت بوضوح أن عينيها لا تزالان هناك، لكنّ نظرتها لم تعد موجودة ولما جاء والدي ولفظ كلمة "موت"، لم أجد لها لزوماً، لأني كنت أدركت معناه أتفهمين الآن.

مارغا : لا أدري... الموت سكينة تُرى وبرد يُلمس. أما الله...

بابلو : الأمر ذاته. أنا لا أستطيع فهم آلة طابعة دون أن تشرحيها لي. فهي جد معقدّة. أما الموت والله فهما، على النقيض، بسيطان للغاية.

مارغا : وهل اكتشفت الله وحدك أيضاً؟

بابلو : قد يكون مثل اكتشافك له. هو شيء آخر طبيعي.

مارغا : لكن، ربما كنت سمعت بهذه الكلمة على الأقل.

بابلو : سمعت الكلمة. لكن ما قيمة الكلمات إذا كنت لا تعرفين ما تحمله من معان؟ كان ذلك حين عودتي من الصيد، وقد ابتعدت عن والدي ووجدت نفسي ضائعاً في جبل مقفر. أكنت ذات مرة وحيدة في الجبل وقت انفجار العاصفة؟

مارغا : أبداً.

بابلو : كان الليل يبدو أنه يحبس أنفاسه بانتظار ما لا أدري." وساد صمت عميق جداً، وسرت قشعريرة من نقرتي حتى حوافر الحصان. حينئذ أدركت كم أنا صغير، وكم أنا وحيد معزول تماماً. ضغطت بيأس على المهمازين لأهرب من تلك الوحدة، لكن دون جدوى: فالحصان كان لا يزال يرتجف دون أن يتحرّك. وفجأة أحسست أني لست وحيداً. بل إن أحداً ما كان يدنو منّي في العتمة وينادي من الأرض ويطوّقني مع الريح، وينظر إليّ من علياء النجوم. شيء أكبر منّي كثيراً، لكنه كان يريد أن يحل في داخلي

ليملأ وحدتي البشرية، لم أستطع مقاومة الخوف، وصحت بالكلمة الوحيدة القادرة على نزعة مني: "يا الله!" في تلك اللحظة انفجر الرعد كجواب على صيحتي، وأضيء الليل كله بالبروق. حينئذ أدركت ببساطة أن من كان معي هو الله (صمت قصير يمسك العلبة الموسيقية ويشرع بربط الحبل تتأمله مارغا متفكرة. والتفت ببشاشة) لماذا ظللت تفكرين؟ أليس الأمر واضحاً؟

مارغا : نعم، يا بابلو، أنا لم أجده وبهذا الوضوح أبداً.

بابلو : إذاً، كفانا ثرثرة وهيّا إلى العمل.

مارغا : ألا تزال لديك رغبة في العمل اليوم؟

بابلو : أنا؟ كلا، يا آنستي، كلاّ! بل أنت ستعملين الآن. أنا سآخذ فرصة صغيرة. (يمسك بالصندوق والصورة) بالإذن منك.

مارغا : ماذا ستعمل؟

بابلو : شيئاً هاماً جداً لم أستطع القيام به حتى الآن. (يبتسم) سألعب قليلاً مع والدتي.

مارغا : أتريد أن أنصرف؟

بابلو : كلا! ستبقين من أجل تصحيح الدفاتر لكن، أديري ظهرك ولا تنظري خفية. وعد؟

مارغا : وعد. (بدأ الضوء يخفت بعذوبة، تجلس مارغا إلى

المنضدة مديرة ظهرها، وتمسك قلماً أحمر وتصحح، بابلو يجلس حسبما يروق له على الأرض، انتهى من ربط حبل العلبة، يضغط على الزر ويستمع إليها لحظة ثم يضعها أمامه. يسند عليها الصورة ويتأملها وهو يصفرّ من بين أسنانه للحن الموسيقي ثم يتفحّص الصندوق. يرفعه إلى مستوى أذنه ويرجّه. وكطفل يبحث عن فتحة لعبة، غثر على اللوالب المخفيّة. من العلبة الكبرى خرجت لعبة أصغر فيها، ثم أخرى، فأخرى فأخرى. بابلو يصفرّ كل مرة بسرور أكبر لمهارته ثم أتى إلى صندوق صغير حميم وجد داخله رزمة من الرسائل مربوطة بشريط. خلال المشهد تتقاطع الأجوبة التالية دون أن ينظر أي منهما إلى الآخر)

مارغا : هل لي أن أطلب منك شيئاً؟

بابلو : نعم، لكن دون أن تنظري. أي شيء؟

مارغا : أن تكتب ما قصصته عليّ للتو عن الظبية والليل العاصف.

بابلو : ولِمَ تريدينه مكتوباً؟ ما دمت قد رويته لك.

مارغا : من أجلي، يسرّني أن أحتفظ به.

بابلو : سأكتبه. أيوجد شيء آخر؟

مارغا : نعم. تنبيه بسيط. ما عملته بأوروبا وأمريكا صفحنا عنه. ما كلمتا الله والموت، فاكتبهما، رجاءً، بحروف كبيرة. (بابلو لا يجيبها. ينظر

مدهوشاً إلى رزمة الرسائل) أتسمعني؟ (بابلو يفك الشريط) أتسمعني، نعم أو لا؟ (بابلو ينظر إلى أول ظرف كالمفتون وقد اختفى صوته تقريباً)

بابلو : آديلائيدا! آديلائيدا! (يفتح ويقرأ) "عزيزتي آديلائيدا" (يتابع القراءة للحظة بصمت. يقلب الرسالة فجأة باحثاً عن التوقيع، يشحب لونه يسمع تقريباً وهو يدمدم على شكل أصم) كلا! (ينظر إلى مطلع وخاتمة رسالة أخرى) غير ممكن. (ينهض بقفزة، داعكاً الرسائل بين يديه المتشنّجتين)

مارغا : (على شكل طبيعي. دون أن تلتفت) أجرى لك شيء؟ (صوت بابلو ينطلق متصاعداً من احتجاج أصم حتى صرخة حيوانية، بينما يمزّق الرسائل نتفاً نتفاً)

بابلو : لا! لا! لا!

مارغا : (تلتفت مذعورة) بابلو!

بابلو : لا يمكن أن يكون صحيحاً!

مارغا : بابلو، عزيزي. (تهرع نحوه دون أن تفهم)

بابلو : (يبعدها بعنف) كلا! ابتعدي عني لا تقتربي مني أنتِ أيضاً!

مارغا : لكن، ماذا عملت لك؟

بابلو : لا تلمسيني!

مارغا : لا! هذا غير ممكن. (تتشبث به يائسة) لا شك

أنها نوبة حمّى. بأغلى ما تحب لا تنظر إليّ هذه النظرة! أنا مارغا. ألا تراني؟ أي أذى، يا عزيزي. ألحقته بك، فدتك روحي كلها؟ تكلّم يا عزيزي، تكلّم (يصل بابلو إلى السيطرة على نفسه بجهد هائل)

مارغا : لكن، ماذا حدث لك فجأة؟

بابلو : لم يحدث شيء. مضى الأمر. دعيني. الآن، أنا بحاجة للبقاء وحيداً. (يتجه صوب السلم)

مارغا :لا، لن أدعك هكذا. عليك أن تجيبيني أوّلا!

بابلو : (مشيراً بعينيه إلى الرسائل الممزقة) إن كنت معنيّة كثيراً فستجدين الجواب فيها. (يتجّه نحو السلم متعباً. مارغا راكعة تجمع الرسائل وتضمّ القطع الممزقة. يلتفت بابلو بسخريّة مرة) آه! لقد نسيت شكراً لك، لأنك علمتني القراءة هي ممتعة للغاية! شكراً (مارغا تفهم الأمر الآن، وتصرخ راكعة وتنادي)

مارغا : بابلو...! بابلو...! ... (بابلو يصعد راكضاً. مارغا تنتحب فوق الأرض. حلّ المساء والمشهد يغرق في الظلمة. صمت يتخلله نشيج. خوليو يظهر في عتبة الدهليز يتأملها لحظة)

خوليو : آنسة لوخان.. (مارغا لا تسمعه) آنسة لوخان!

مارغا : (ترفع رأسها) من أنت؟

خوليو : صديق مخلص. أو هكذا آمل على الأقل.

ماريانا : (بخوف مفاجئ) هذا الصوت... من أنت؟ (تهرع لإشعال المصباح. تنظر إليه مشلولة القوى) خوليو!

خوليو : بالطريقة التي تطقت بها اسمي، لا تبدو المفاجاة سارّة جداً. (يتقدّم) ألا تزالين تحقدين عليّ؟

ماريانا : عما جئتم تبحثون؟

خوليو : آه! والآن سنتخاطب بصيغ المجاملة كالغرباء!

ماريانا : أجب! أستظللون تلاحقونني مدى الحياة؟

خوليو : أنا لا أسعى لملاحقة أحد.. إنني في بيتي.

ماريانا : بيتكم هذا؟

خوليو : بيت عائلتي من جهة أم بابلو. أم أنك نسيت أسمي؟

ماريانا : خوليو رولدان... خوليو رولدان! (تتراجع) إذاً... الأمر صحيح!

خوليو : اهدئي! من جهتي ما مضى مضى، ولا أحمل في نفسي أي شيء إزاءك. بل على العكس. جئت تحديداً لأعرض عليك سكوتي بدافع الصداقة.

ماريانا : وإذا رفضت العرض؟

خوليو : لا أنصحك بذلك. سيكون الأمر أسوأ في حالة العداوة.

مارغا : سيّان عندي. كنت أعلم أن هذا الأمر سينتهي بشكل أو آخر.

خوليو : لنتفاهمْ. لست بصدد أي شيء عاطفي إنه ببساطة، صفقة. أتريدين أن تستمعي إليّ؟

مارغا : تكلم! (تجلس وكذلك يفعل خوليو)

خوليو : الصمت أحياناً كنز. ولو كنت ثريّاً لقدّمته لك هديّةً.

مارغا : لكنك رجل صفقات. وأتيت لتبيعني الصفقة. أليس كذلك؟

خوليو : لا أملك مخرجاً آخر.

مارغا : والثمن؟

خوليو : رخيص جداً. بابلو لا يطيع أحداً طاعته لك. أنت علمته كتابة اسمه. وللوصول إلى ذلك اضطررت إلى جعله يوقع مئات المرات. وأسعى الآن للحصول على بعض التواقيع الإضافية.

مارغا : في ذيل بعض الوثائق التي تكتبها أنت.

خوليو : ذكيّة جداً دائماً.

مارغا : باختصار، سرقة قانونية. أليس كذلك؟

خوليو : مادامت قانونية، لا يهمّني الإسم.

مارغا : (تنهض) أفكرت أنني لن أتردد لحظة واحدة

بأن أقبل بسبب الجبن؟ وأنت، الدون جوان المحترف، أهذا كل ما تعلمته من النساء. ولكن، من أيّ نساء!

خوليو : (ينهض هو أيضاً ببرود) لا ترفعي صوتك.

مارغا : اخرجْ من هذا البيت فوراً.

خوليو :أخرج بهذه الطريقة. مستحيل. غداً، سأستأنف سفري. وإذا رفضتِ الاستماع إليّ، فإن أحداً ما سيفعل ذلك نيابة عنّي.

مارغا : (مذعورة) ألديك القدرة على قول ذلك لبابلو؟

خوليو : لا يسرّني ذلكن لكن، إذا أجبرتني...

مارغا : لا، هذه الليلة؛ لا! ستكون قسوة بالغة. (تنظر باتجاه السلم بقلق تتوسل مسرعة) اسمع يا خوليو! أيمكنني أن أطلب منك مهلة؟

خوليو : أنحقّق تقدماً بذلك؟

مارغا : تابع سفرك. أتعدني أنك سترحل هذه الليلة دون أن تراه؟

خوليو : وبعدئذ؟

مارغا : بعدئذ.. سيكون ما تريد، لكن، هذه الليلة، لا، هذه الليلة، لا.

خوليو : ألا تفكرين أنك تستطيعين خداعي كما تخدعينه؟

مارغا : أوجدتني أكذب خوفاً، ذات مرة؟

خوليو : حتى الآن، لا.

مارغا : إذاً، كن مطمئناً حين تعود إلى هنا ستجدني مستعدّة للإجابة. أقسم لك!

خوليو : لابأس . لكن، لاتنسى أن كل الأسفار ستنتهي ذات يوم .(من العتبة) إلى اللقاء قريباً يا آنسة لوخان. **(ينحني ويخرج تجمع مارغا التذكارات المبعثرة على عجل ينزل بابلو. يقف لحظة على السلم) مارغا وبابلو.**

بابلو : لماذا تجمعين هذه الأشياء؟

مارغا : سأحتفظ بها.

بابلو : لا تتعبي نفسك في المدفأة ستلتهب جيداً.

مارغا : أتظن أن من حقك الحكم على أمّك دون أن تعرفها؟

بابلو : كفى! عشت عشرين عاماً من دونها. وأستطيع أن أتابع حياتي من دونها. **(يسقط متهالكاً في مقعد مارغا تقترب منه)**

مارغا : أليس من الأفضل أن تستلقي؟ أنت منهك.

بابلو : ليست قواي هي التي تخذلني. أسوأ ما في الأمر أنني لا أستطيع فهم شيء... أي شيء.

مارغا :أيمكنني مساعدتك؟

بابلو : لا أعتقد. حين علّمتني هذه الأشياء المدنية، كانت تبدو لي سهلة في البدء. والآن أدركت فجأة أنني لا أفهم شيئاً ولن أفهم شيئاً أبداً.

مارغا : ماالذي لا تفهمه؟

بابلو : الآن، مثلاً: لما صعدت إلى غرفتي كان من الطبيعي أن أفكر بأمي. أليس كذلك؟ لكنني لم أستطع التفكير بها لحظة واحدة. حاولت أن أتخيّل عينيها الزرقاوين وما كنت أرى سوى عينين خضراوين. واردت التفكير بشعرها. والشيء الوحيد الذي شممته كان رائحة شعرك. لماذا؟ لماذا؟

مارغا : لا تبالغ بالارتباط بي تذكر أننا سنفترق عن بعضنا ذات يوم.

بابلو : سبق أن قلت لي هذا أول مرة. ولا هذا الانفصال أستطيع تصوّره.

مارغا : عليك أن تتآلف مع الفكرة. فكر أن هذه الليلة قد تكون الأخيرة.

بابلو : لا هذه الليلة ولا غيرها أتظنّين أني سأدعك تمضين؟

مارغا : لن تستطيع منعي لأنك لن تعرف متى أرحل. ببساطة، ستستيقظ ذات صباح وتناديني من جبل

إلى جبل، "مار-غا!!!" لكنّ مارغا لن تكون هنا.

بابلو : لكن، ما الذي تزعمينه؟ أهو تحية وداع؟

مارغا : بل هو تحذير قبل أن يحلّ ذلك اليوم. ألم تكن سعيداً حتى هذه الساعة من دوني؟

بابلو : الأمر مختلف. قبل مجيئك كان العالم ملآن بأشياء. والآن لا يوجد إلا شيء واحد يطوّقني كحزام من النور: مارغا، مارغا، مارغا!

مارغا : شكراً لك، لو اختُصرت حياتي في هذه اللحظة وحدها، لكانت جديرة بأن أحياها لمجرد سماعي هذه الكلمات. لكن، لا تسلّم زمام أمرك بإفراط إلى امرأة. ألا يطيب لك أن تعود إلى الجبل؟

بابلو : فات الأوان! في الجبل كنت أُحْرم من النوم حين أكون جائعاً فقط، أو يؤلمني جرحي أو يوقظني الخوف. والآن أنت جرحي الوحيد وجوعي وخوفي.

مارغا : وهل أخيفك؟

بابلو : هذه الليلة، نعم، لأنها ليست ليلة كباقي الليالي. ألا تحسّين أنها حتى برائحتها مختلفة؟

مارغا : إنه الخريف... وهي رائحة الأرض المبلولة.

بابلو : هذا لا يكفي، هي رائحة الأرض ورائحة جلدك معاً. الرائحة التي شممتها أول مرة. لكن،

يوجد فيها اليوم شيء أعمق... شيء أكثر غموضاً يتغلغل في داخلي كيوم الظبية أو يوم البرق. (بصوت حميم وهو يدنو) ألا تحسّين به؟

مارغا : (مفتونة هي أيضاً) الآن نعم، وهو يثير خوفي أيضاً، لأنه لم يسبق لي أن عرفته أبداً.

بابلو : هذا يشبه إحساسي بأني ساقع في حفرة منصوبة ألقى حتفي فيها. ومع ذلك، أريد أن أسقط! ولماذا هذه الليلة هي جدّ مختلفة عن غيرها؟ لماذا كنت في اليوم الأول أنا الأقوى؟ لكنك اليوم تملكين القوّة كلها.

مارغا : انج بنفسك مني يا بابلو! لا يزال أمامك فسحة من الوقت.

بابلو : عبثاً تحاولين. فأنا لا أستطيع العودة إلى الوراء. ولو استطعت فلن أعود. أنت التي تعرفين كل شيء: ما الذي أحس به يضطرب بآن واحد في روحي وفي جذر دمي؟

مارغا : لا أدري... عساه يكون ذات الإحساس الذي يختلج في نفسي!

بابلو : أترتعش الكلمات في داخلك أيضاً قبل أن تلفظيها؟

مارغا : ترتعش أيضاً.

بابلو : إذاً، لا يوجد شيئان كبيران [illegible] هناك شيء ثالث يجعل حنجرة المرء [illegible]

مارغا : نعم، يا بابلو، يوجد سر [illegible] شبيه بإحساسك بالله تقريباً، شبيه [illegible] الموت قليلاً.

بابلو : قولي هذه الكلمة الثالثة. أريد [illegible]!

مارغا : لا لزوم لذلك، يا عزيزتي، حين [illegible] الثالثة صادقة فالأفضل أن تقال [illegible].

(تجذبه إليها بلطف ثم يهوى [illegible] القبل يسقط الستار ببطء)

[illegible]

الفصل الثالث

المكان نفسه، قليل من الوقت بعد ذلك. ليل المسرح تضيئه بغزارة كل المصابيح وبعض الشمعدانات. المائدة ملأى بصحون الخزف والبلور الناعمة. كل شيء يشير إلى أننا أمام حفلة عائلية هامة.

الأشخاص يرتدون ثياب الحفلة بمسحة متقشّفة تتماشى وبعض الحميمية، العمتان تزدانان بالمخامل الغامقة والمطرّزات الشاحبة، دون أن تفقدا أبداً نكهة العصر... ولا إخوتهما في الملبس. المدخنة مشتعلة عند رفع الستار، يدخل إوسوبيو من الحديقة حاملاً سلّة من الزجاجات، يضعها على منضدة صغيرة متحركة قرب المدفأة. في الوقت نفسه تدخل العمة ماتيلده من البعد الأول الجانب الأيسر حاملة صينيّة من اللحوم الباردة المغمورة بالصلصة والأفاويه. خلال الحوار تنتقل كالعصفور مصلحة تفاصيل معيّنة ومنظمة أغطية.

ماتيلده وإوسوبيو.

ماتيلده : امل ألا تجد عقبات في القبو!

إوسوبيو : لا اظن. خمر بوردو الأبيض للحم البارد

والأحمر للمشوي كما جرت العادة في الأزمنة القديمة (يسلمها رزمة من الشموع) من أجل "التورتة"

ماتيلده : والمدعوون أين انحشروا؟

إوسوبيو : يتجوّلون مع السيد رولدان في المزرعة.

ماتيلده : أفي هذه الساعة ؟

إوسوبيو : هي ليلة مقمرة جميلة. على كل حال، إن لم تخنّي ساقي، سيكونون هنا خلال زمن قصير ليحتموا من العاصفة.

ماتيلده : ألديك ميزان ضغط جوي في ساقك؟

إوسوبيو : بل روماتيزم مفصلي. وهو الشيء الوحيد الذي خلّفه لي والدي.

ماتيلده : (انتهت من عدّ الشموع) ثلاث وعشرون، أربع وعشرون، خمس وعشرون. (تتنهّد) خمس وعشرون شمة! عام مضى تقريباً، ويبدو كأنه نزل البارحة من الجبل كجرو والذئب. لكن، أرأيت الآن كيف تليق به بزّة "السموكنغ" وكأنه كان يلبسها كل حياته؟

إوسوبيو : هذه أمور تنتقل بالوراثة. أكل شيء على ما يرام؟

ماتيلده : تماماً. الشيء الوحيد الذي لا أستطيع هضمه

في هذه الوليمة هو المدعوون.

إوسوبيو : صبراً، يا سيدتي. بعد كل شيء هم أقاربه الوحيدون. مهما كانوا بعيدين.

ماتيلده : لحسن الحظ أنهم بعيدون. لكنهم أولاً وآخراً من آل رولدان. هذا الغصن المتعفّن يندّس دائماً في هذا البيت (تنظر إلى المائدة المتحركة وإلى كأس من فضة فوقها) وهاتان الزجاجتان الفارغتان؟ من شرب زجاجتين من الشمبانيا؟

إوسوبيو : السيد بابلو، كما افترض.

ماتيلده : بابلو يشرب؟ غير ممكن. أشربهما وحده؟

إوسوبيو : هو وابن خاله خوليو. منذ لحظة كانا هنا فرحين، ضاحكين متعانقين.

ماتيلده : لكن بابلو ليس من عادته أن يشرب يمكن أن يكون هذا خطراً.

إوسوبيو : لا تبالي، رأسه صاحٍ تماماً.

ماتيلده : لا أصدّق مذ عاد ابن الخال خوليو، أسرفا في العناق وفي الخروج معاً. وهذا الرجل جاء يبحث عن شيء هنا، ولن يأتي منه خير.

إوسوبيو : هي شؤون شبابيّة! (تدخل العمة أنخلينا حاملة صينية أخرى) أتحتاجان شيئاً آخر؟

ماتيلده : لا نحتاج شيئاً. شكراً لك يا إوسوبيو (يخرج

إوسوبيو باتجاه الحديقة العمة ماتيلده تنظر مضمومة إلى الزجاجتين الفارغتين ثم ترفعهما. العمة أنخلينا تضع الصينية، وتأخذ على شكل آلي بتناول كؤوس وأغطية من الخزانة. تُقبل والغم بادٍ عليها بوضوح أكثر من أختها الآن. دون شك السبب أكثر جدية. تجيب شاردة الذهن كصدى دون أن تسمع ما يُقال لها.)

ماتيلده وأنخلينا.

ماتيلده : إنه عيد ميلاده الأول! يذكرني بأيام زماننا حين كنا نلبس في هذه المناسبات ثيابا طويلة. أوضعت (التورتة) على نارٍ هادئة؟

أنخلينا : نعم، يا ماتيلده. إنها في الفرن.

ماتيلده : لم تغلقي الفرن، أليس كذلك؟

أنخلينا : بلى، يا ماتيلده، أغلقته.

ماتيلده : أغلقته؟ إذاً لا بد أنها تحترق.

أنخلينا : نعم يا ماتيلده، لا بد أنّها تحترق.

ماتيلده : لكن أنخلينا، أأنت نائمة أم أنك أصبت بالصمم فجأة؟

أنخلينا : نعم، يا ماتيلده، فجأة.

ماتيلده : (تنظر إليها بذهول) أنخلينا! (تظل أنخلينا ساكنة ونظرتها غائبة تقترب ماتيلده بحزم وتمسك بها من كتفيها وترغمها على الالتفاف) استيقظي وخلصيني

هل لي أن أعرف ماذا جرى لك هذه الليلة؟

أنخلينا : دعيني!

ماتيلده : كلا! انظري إليّ وأجيبي. ما الذي يجري هنا هذه الليلة؟

أنخلينا : اتركيني، قلت لك! **(تتخلّص منها وتهرع إلى مقعد وقد أخفت وجهها وتنفجر بالبكاء تتبعها ماتيلده خائفة. وتنتقل إلى لهجة حميمة)**

ماتيلده : آه! إذاً الأمر خطير... بمّن يتعلق؟ **(تركع إلى جانبها)** بحياتك لا تفزعيني تكلّمي.

أنخلينا : حلفتُ ألا أبوح بالسر إلى أحد. لكنني لا أستطيع السكوت لا أستطيع... مارغا سترحل هذه الليلة.

ماتيلده : سترحل؟ لماذا؟

أنخلينا : أتظنّين أني أعلم؟ دخلتُ غرفتها ظناً مني أنها غير موجودة. لكنني وجدتها هناك تبكي في الظلام وقد حزمت أمتعتها.

ماتيلده : دون أي تفسير؟

أنخلينا : دون تفسير فقط قالت لي أن رحيلها سيكون في صالح بابلو. وحلّفتني ألا أخبر به أحد حتى تصبح بعيدة. يجب أن نعمل شيئاً يا ماتيلده. لا ينبغي لمارغا أن ترحل هكذا.

ماتيلده : (تنهض متفكرّة) لا بأس! يبدو لي أني بدأت أفهم كثيراً من الأمور.

أنخلينا : أكنت تلحظين شيئاً؟

ماتيلده : منذ شهرين تقريباً مارغا لم تعد مارغا ذاتها. أراها حزينة وشاحبة دائماً. وعيناها أكبر من ذي قبل.

أنخلينا : أتعاني من مرض؟

ماتيلده : أتتذكرين ذلك اليوم حين كنا نتناول طعام الغداء وهوت دون إحساس فوق المنضدة؟

أنخلينا : لكنه كان حادثاً عابراً مجرد دوار بسيط.

ماتيلده : ليست المرة الأولى التي يعرض لها هذا الدوار. ولا المرة الأولى التي تبكي فيها في الخفاء لاجئة إلى إحدى الزوايا حين تتصرف فتاة هذا التصرف ويمكن أن يوجد لديها شيء أخطر من مجرد مرض.

أنخلينا : (تفهم الأمر فجأة، وتقف على قدميها بقفزة واحدة) أيُعقل؟

ماتيلده : نعم، يا أنخلينا، نعم. وأسوأ ما في الأمر أن ذلك ليس مسؤوليتها. وإنما مسؤوليتنا نحن لأننا لم نفطن له في الوقت الملائم.

أنخلينا : السيد رولدان أشار إلى ذلك منذ اليوم الأول.

أتتذكرين؟ "لديكما هنا برميل من البارود واجتهدتما في جلب عود ثقاب قريباً منه" والآن من المذنب عود الثقاب أم البرميل؟

ماتيلده : وهذا ما يثير غضبي أكثر من أي شيء آخر أيمكن لآل رولدان أن يكونوا في هذه الحياة اللعينة دائماً على صواب؟ (يُسمع بابلو وخوليو قادمين وهما يغنيان، وسط الضحك أغنية صغيرة خشنة.)

أنخلينا : ها هما، ماذا نفعل يا ماتيلده؟

ماتيلده : في هذه اللحظة، علينا أن نقوم بعبء هذه الوليمة السعيدة على أفضل ما يمكن. لكن، قولي لمارغا ألا تترك البيت حتى آمرها، ولتنزل للمشاركة في الحفل، وليكن ما يكون، (تصعد أنخلينا السلم) والآن سنرى إن بقي شيء من هذه التورتة اللعينة، أم أنها احترقت كما يحترق دمي. (تخرج من البعد الأول للجانب الأيسر. يدخل بابلو وخوليو من الدهليز ممسكين بذراعي بعضهما وكأنهما يتساندان. بابلو مشعّث الشعر وربطة عنقه محلولة. لا شك أنه منتش دون أن يبلغ مرحلة السكر. لكن سيكون من الصعب أن نعرف إن كانت هذه البهجة الخمرية حقيقة أم أنه يُخفي شيئاً آخر تحتها. خوليو، على نقيضه، معتاد على الشرب ويُرى بوضوح أن فرحة المزيّف لا يعدو كونه خدعة يحمل محافظة

وثائق. غناؤهما يصاحبه حركات وتصفيق مضحك:

بابلو وخوليو

الاثنان معاً: العم توماسون
يحب البقدونس
في الشتاء وفي نيسان.
لكن بشرط:
ديبيرين، دين، دين
ديبيرين، دين، دون
الشرط:
أن يكون البقدونس
خطم خنوص[٨] بري

بابلو : (ضحك وربت) أنت عظيم يا خوليو. تصور أني عشت حتى الآن دون أن أعلم ما معنى صديق عناق، يا صديقي! (يتعانقان)

خوليو : شكراً، يا بابلو، كنت واثقاً أننا سنكون خير أصدقاء في العالم.

بابلو : النساء هن اللواتي يجهدن في إبعادنا عن بعضنا. أتفهم؟ هن لا يعجبهن في الحقيقة شيء إلا البكاء. لكن الرجال لا يبكون. الرجال

---

(٨) صغير الخنزير

يشربون وحين يتعبون من الشـرب يغنـون وبعـد أن يتعبوا من الغناء يعودوا إلى الشـرب. المـرأة حيـوان عـاطفي. والرجـل حيـوان ذكـي. عنـاق آخر!

خوليو : عناق آخر! وكأس أخرى من الشمبانيا؟

بابلو : دائماً! لكن، أنت، لا. (يتنزع الزجاجة منـه) أنـت تفتحـها برقّة زائدة. يلّذ لي أن أسمعها تهدر بهدير كبير. تشيش – بام! هكذا، هدير مـع زبـد، زبـد غزير (يناوله كأساً) أيوجد شيء في العالم أفضـل من صديق؟

خوليو : من صـديقين!

بابلو : إذاً، نخب الصـديقين!

خوليو : بصـحتك! (يشربان، يترنّح قليلاً ويسقط في مقعد)

بابلو : اللعنـة علـى الشـمبانيا! مـا أقـوى فعلهـا! إنهـا تُرخي ركبتيك وكـأنك قضيّت نـهارك كلـه علـى متن الحصـان (ينهض يضرب على جبهته في لحظة خاطفـة مـن الحـدس) صـحيـح! الشـمبانيا مثـل الحصان: نار فـي العـروق وزبـد فـي الفم. إنهـا حصان مكمّم بزجاجة!

خوليو : ما أحس قولك! أنت رجل عظيم بحق.

بابلو : أحقاً ما تقول؟ عناق آخر يا أخي!

خوليو : أخوان مدى الحياة! (يسقط بابلو في المقعد مرة أخرى خوليو يمدّ يده إلى محفظته) والآن، أتريد أن تسمعني لحظة واحدة؟

بابلو : عدنا إلى الصفقات؟ أسترغمني على العمل في هذه الساعات؟

خوليو : هي مجرد تواقيع. أما العمل فأتولاه أنا. الأسياد يكتفون بوضع تواقيعهم. (يمدّ له قلماً) هنا!

بابلو : أفي هذه الساعة؟ سيكون ذلك صعباً. أولاً عليّ أن أتعلّم.

خوليو : لا تقل لي إنك لا تعرف أن توقّع!

بابلو : نصف معرفة. معلمتي الغبيّة علمتني الكتابة باليد اليمنى فقط. وهذه الأوراق الهامّة ينبغي أن توقّع باليسرى.

خوليو : باليسرى؟ من قال لك هذه السخافة؟

بابلو : هذا ما أراه هنا. العام الماضي انفجرت فشكة البارود في يد والدي اليمنى. ولم يعد باستطاعته أن يستعملها. هذا كان في تشرين الأول... ومع ذلك، أجد تواقيع له في أشهر تشرين الثاني، وكانون الأول وكانون الثاني... فبأيّة يدٍ وقّع؟ (ينهض) أنت لا تزال شاباً حديث السن ولا تفهم

في هذه الأمور. كأس أخرى؟

خوليو : (ممتقع الوجه) كلا! (يحفظ الوثائق)

بابلو : أنت لطيف. صار لون وجهك أبيض كالورق. والآن، تبيّن أن من لا يقدر على الشرب هو أنت (يغني)

لكن بشرط

ديبيرين، دين، دين.

ديبيرين، دين، دون.

بابلو وخوليو وماتيلده.

ماتيلده : (تدخل بحزم) كفى يا بابلو! أيبدو لك لائقاً أن تستقبل أحداً وأنت على هذا الشكل؟

اصعد واغسل رأسك بالماء البارد، وسرح شعرك واصلح ربطة عنقك

بابلو : سأصعد، ولا موجب للغضب. وشكراً يا خوليو. أقسم لك إنك جعلتني أقضي أمتع لحظة في حياتي (وهو على السلم) ولا تنسى - إيه إن الوثائق الهامة توقّع باليسرى... باليسرى يا أخ.

لكن بشرط

ديبيرين دين دين

ديبيرين دين دون

الشرط

ماتيلده وخوليو ثم المدعوون

ماتيلده : ألا تخجل من أن تُسكر شاباً بائساً لم يشرب من قبلُ أبداً؟

خوليو : لا تهتمّي. يبدو لي أن رأس بابلو أصفى من رأسك ورأسي

ماتيلده : ماذا كنت تقترح عليه؟ أنتم -آل رولدان- لا تخطون خطوة دون أن تجدوا لها مبرراً. وهو دائماً مبرر ملوّث.

خوليو : دون فضائح يا سيدتي. ماذا تظن بنا هؤلاء المدعوون؟ (في الواقع، أخذ المدعوون يفدون من الحديقة، يرافقهم رولدان الأب. الدكتور أوغوستوبيريث رولدان، فرع بعيد من الفرع الذي تسميه ماتيلده، غير شرعي. هو أستاذ في الأنتروبولوجيا، تبدو واضحة عليه عيوب مهنة التعليم الجامعي. وعضو شرف في كل أكاديميات المنطقة التي ليس لديها شيء هام تعمله. فيه حذلقة الأستاذ الجامعي الذي لا يُناقش. وهو بالتأكيد مملوء بالشهادات والميداليات. دونيا لولودي بيريث رولدان، التي يبدو لها أكثر تميزاً أو شبابا دعوتها باسم لولو، هي زوجة الأنتروبولوجي اللامع كما يروق لأمثال هذه السيدات المغرمات بكلمات التفخيم. الابنة فيفي لها ضحكة أرنب. وغبها بلاهة فائقة تمتاز بها الفتيات المنتخبات بكل تفتيش بحثاً عن رجل وصيده. إنها غبيّة محترفة بفساد مضاعف لكونها فوق ذلك جميلة)

لولو : عزيزتي ماتيلده. كنا نطوف في أرجاء المزرعة. إنها رائعة!

ماتيلده : شكراً!

رولدان : لكنّ ما رأيتموه لا يُعدّ شيئاً. تخيلي الغابات والقطعان الكبيرة، ثم الجبل بمحصوله الوافر من الصيد...

فيفي : حلم حقيقي!

الأستاذ : والشاب؟

ماتيلده : سينزل فوراً. هو طائش قليلاً. وسأعد له قهوة ثقيلة. أتعذرونني؟

لولو : على راحتك

ماتيلده : خوليو سيقوم بواجب الخدمة. يبدو أنه خبير في تقديم المشروبات. لحظة. (تخرج من الجانب الأيسر من القسم الأول)

خوليو : خمر شيريش، أم أوبورتو؟

لولو : ألا توجد خمور فرنسية؟

خوليو : آنجو أبيض؟

لولو : ما دام فرنسياً، لا يهمنّي أياً كان نوعه. شكراً جزيلاً.[٩] (خوليو يصب المشروب)

---

(٩) – بالفرنسية في الأصل.

خوليو : وأنت يا رفيقي؟

ڤيڤي : من المشروبات، أفضل (ڤيرجينيا) بشعر ملاك. (تضحك من ظرفها الذاتي) خي! خي! (تقترب من المائدة وتتناول "تشطيرة")

خوليو : وأنت يا دكتور؟

الأستاذ : أي شيء. الشيء الوحيد الذي أرغب فيه، هو التعرف بأسرع وقت على فتى الغابة هذا.

خوليو : (يناوله كأساً) ألغاية علمية؟

الأستاذ : تخيل! سيكون فصلاً مثيراً في كتابي عن المتوحّش الحالي والإنسان البدائي. حالة لو رآها ايمرسون وروسو لخفق قلباهما لها من السعادة.

رولدان : لا تتوهم كثيراً! لعل سعيك كان ممكناً قبل عام. لكن بابلو الآن، ليس إلا متوحشاً غطت عليه الثقافة.

الأستاذ : هكذا يبدو لغير المختصّين، لكن دعوني أفحصه كأنتروبولوجي. وسترون كيف تبرز من تحت هذا الصباغ العلامات المميزة للغابة.

خوليو : أيها مثلاً؟

الأستاذ : العلامات الخالدة: الولع بالصيد البري والنهري. والحرب والميل إلى ترداد المقاطع؛ حسب الألوان الزاهية والأشياء اللامعة. خاصة

هذه اللذة المحمومة التي يحس بها الأطفال وهم يعذبون الحيوانات.

فيفي : إني أموت من الفضول لرؤيته. لكنه يثير خوفي. يقال، لما رأى امرأة أول مرة هجم عليها وعضّها.

لولو : ماذا تريدين أحسن من ذلك يا غبيّة. بابلو ذو ثراءٍ فاحشٍ. وحسب رأي والدك، كان العضّ أولاً، ثم اخترعت القبلة.

رولدان : هو الآن، جد مختلف ربما صار أخطر من ذي قبل، لكنه وديع، حتى أنه يبتسم ابتسامة طفل هادئ.

الأستاذ : يوجد، يوجد أيضاً المتوحّش الساذج والباسم. النموذج البولينيزي.

فيفي : على كل حال، ما ينتقل بالدم لا يُنسى. أنا واثقة من أنه يصعد ليلاً إلى الأشجار ويعوي.

الأستاذ : أحسنتِ جداً، يا بنيّتي، هذا ما كان يفعله الإنسان البدائي قبل اكتشاف النار.

لولو : لا تفزعني، من فضلك. أتظن حقاً، أن من سيمثل أمامنا غوريلا تلبس "سموكنغ"

الأستاذ : أوشيء أشد إثارة: عودة إلى عصر الكهوف.

رولدان : أيبدو لك هذا مسلّياً؟

الأستاذ : بل ساحراً! مؤسف أنّ علمه أبوه الكلام! ولولا ذلك لكان أنموذجاً عجباً.

خوليو : أنا لا يعنيني الجانب العلمي. ما يحمله بابلو في دمه قد يكون إرثاً أشد أهمية بكثير.

لولو : ارث؟ ما هو"

خوليو : بالنسبة لنا هو الأفضل. (يترك الكلمات تتساقط) أنسيتم أن الأب عاش عشرين عاماً على هامش القانون... وأنه مات مجنوناً ؟

فيفي : (مذعورة) أيعقل؟ لن يقترب مني. أسمعتم؟ لا يقترب مني، أو أصرخ.

لولو : تفعلين ما آمرك به. ولو دعاك للخروج معاً إلى الحديقة فستخرجين.

فيفي : في الظلام مع هذا البربري؟

لولو : في الظلام كلهم سواء. وستكونين ودودة معه. أتسمعين؟ وإذا كان لا بد من التضحية... آي! معذرة. أنا لا أدري ما أقول.

رولدان : (يحس باقترابه) سكوت! (تنزل العمة أنخلينا).

المذكورون وأنخلينا ثم بابلو وماتيلده.

لولو : عزيزتي أنخلينا. في هذه اللحظة. كنا نتحدث عن ابن أخيك فيفي يقتلها الشوق لتتعرّف عليه. إنه اشباب!

أنخيلنا : إذاً، لن تنتظر طويلاً. ها هو نـازل. (في السلم يظهر بابلو حسن الهندام، وشعره مسرّح جيداً. يقف في مصطبة السلم مضطرباً قليلاً أمام المدعوّين الذين وقفوا بدورهم. مبهورين وهم ينظرون إليه. غريزياً، تتراجع النساء خطوة واحدة)

بابلو : سادتي! مساء الخير جميعاً. (يهبط درجتين أخريين. النساء يرجعن خطوة أخرى. عادوا جميعاً فوقفوا ساكتين. صمت يفرضه الموقف... تدخل العمة ماتيلده وتتوقف هي أيضاً هنيهة) .

ماتيلده : يبدو أنكم أصبتم بالخرس جميعاً. اقترب يا بنيّ. سأقدمك إليهم. (يتقدم بابلو بأدب): دونيا لولودي بيريث رولدان.

لولو : عفواً: العمة لولو، من فضلك.

بابلو : تشرّفت يا سيدة لولو. (يتجه بتصميم لمعانقتها)

ماتيلده : لا، ليس كذلك السيدات لا يُعانقن، وإنما تُقبل أيديهن.

بابلو : معذرة. (يقبل يدها على شكل طبيعي) تحت قدميك، يا سيدتي.

لولو : شكراً. هذا لطف منك. أهنئك بعيد ميلادك الخامس والعشرين. أليس كذلك.

بابلو : نعم، الخامس والعشرون.

لولو : (تتنهد) آي! هي أجمل سنّي العمر. كنت في

مثل هذا السن منذ عشر سنوات، لكن، في النهاية لا بد من التسليم بالواقع. ابنتي فيفي!

بابلو : (للعمة ماتيلده) وهذه، عليّ أن أقبل يدها أيضاً؟

لولو : هذه، لا! أولاً وأخيراً أنتما ابنا خؤولة يمكنكَ أن تقبل جبهتها إن شئت.

فيفي : (تتقهقر مطلقة صرخة صغيرة) كلا!

بابلو : يبدو أن القبلة على الجبهة لا تروق لها أبداً. على الأرجح، تفضلها في مكان آخر.

ماتيلده : مد لها يدك، ببساطة.

بابلو : تشرفت (يشدّ على يدها بقوة تخنق صرخة صغيرة أخرى ثم تداعب أصابعها متألمة)

أنخلينا : اعذريه. لديه قوة فائضة، ولم يتعلّم حتى الآن كيف يضبطها.

بابلو : إذاً، اسمك فيفي. ما أندره! ولماذا؟

فيفي : حسن! في الواقع، اسمي خوسيفينا؛ لكن ماما تقول إن فيفي أقوى. خي! خي!

لولو : فيفي في غاية الاهتمام بك. وهي لا تتعرف التحدث عن شيء آخر سواك. بعدئذ ستخرجان معاً إلى الحديقة. أحقاً يا (نينا)؟

فيفي : نعم، ماما.

ماتيلده : البروفسور أغستوبيريث دي رولدان. أستاذ

فيما لا أدري.

الأستاذ : في الأنتربولوجيا، يا سيدتي.

ماتيلده : أستاذ في الانتروبولوجيا، يا سيدتي.

ماتيلده : أستاذ في الانتروبولوجيا التي لا زلت لا أعرف ما هي؛ وعضو فيما لا أدري من أكاديميات.

الأستاذ : مسرور جداً بك، يا فتى.

بابلو : أعانقك يا أستاذ. (يعانقه بقوة أكبر مما يقدّره عادة أستاذ في الانتروبولوجيا)

أنخلينا : لا تضغط عليه، وإلا حطمت أضلاعه. (تقوم العمتان بخدمة المدعوين مقدمتين الخمور والصحون. بعضهم واقف وبعضهم جالس مستريح. لكن، لا أحد على المائدة)

بابلو : إذاً، انتروبولوجيا. وهذي ماذا تعني؟

الأستاذ : بسيطة جداً: إنها العلم الذي يُعنى بالدراسة الشاملة للإنسان.

بابلو : ولا شيء غير ذلك؟ حقاً بسيطة للغاية!

لولو : الدكتور أستاذ لامع. نشر كتباً، وفي بيته دهليز فيه أربعون قفصاً فيها أربعون قرداً.

بابلو : أربعون قفصاً مع أربعين قرداً لدراسة الإنسان.

الأستاذ : بالضبط لن أقول كما يقال قديماً: إنها أسلافنا. لكنها أقاربنا البؤساء.

لولو : سيهمك كثيراً رأي زوجي حول القرود. فهو يحبسها في دهليز، ويجري عليها تجارب في المختبر ويحقنها بكل أنواع الحقن ليرى ردود فعلها.

بابلو : آه، نعم؟ المثير في هذه الحالة سيكون معرفة ماتفكر به القرود حول زوجك.

الأستاذ : (يضحك دون قناعة كبيرة) حسن جداً. أرأيتم هذه السذاجة اللذيذة؟ إنه بوليتيزي حقيقي.

بابلو : ويسكي، يا فيفي؟

فيفي : ما تريدونه، يا ابن العمة. أوّي، معذرة! أخاطيك دون مجاملة، دون إرادة مني، فقد وقعت من قلبي موقعاً حسناً! خي! خي!

ماتيلده : فيفي ألقت إليك بكلمة غزل، أليس لديك جواب عليها؟

بابلو : (ناظراً إلى الأب) رشيقة كالقردة! وأنت يا لولو؟

لولو : أنا لا أريد شيئاً. ميرسي بيان، مون شيري!

بابلو : هل أنت فرنسية؟

لولو : هي مسألة ذوق. الإسبانية شديدة العنف. أما الفرنسية، فعلى العكس، ما أحسن وقعها حتى في

أسوأ ألفاظها!

الأستاذ : أتسمح لي أن أطرح عليك أسئلة؟ هو مجرد فضول علمي.

بابلو : تحت أمرك يا دكتور.

الأستاذ : (يضع صحنه، ويقلّب دفتراً صغيراً) ألا يزعجك أن أكتب ملاحظات؟

بابلو : من جهتي، أنا مسرور. اسأل. اسأل. (بينما يجيب بهدوء، يصب لنفسه "ويسكي"، ثم ينقر لقمة من هنا ولقمة من هناك، ولقمة من هناك، واضعاً إحدى رجليه على المنضدة)

الأستاذ : ماهي رياضتك المفضّلة؟

بابلو : ماذا يمكن أن تكون؟ صيد البر والنهر.

الأستاذ : (ظافراً) ألم أقل ذلك؟ إنها هوايات الإنسان البدائي: عنف الغزو. (يسجّل). وأنا واثق من أن الهواية الأخرى في الأساس هي الحرب.

بابلو : آه! هذا غير صحيح. ما أنا إلا متوحش مسكين. أما الحرب فيستأثر بها المتحضرون.

الأستاذ : كلامك في محله، أيها الشاب.

بابلو : شكراً لك يا دكتور.

الأستاذ : أتعجبك الألوان القوية؟

بابلو . كل ما هو قوي يعجبني.

الأستاذ : والأشياء اللامعة؟

بابلو : تسحرني.

الأستاذ : كنت واثقاً من ذلك. (يسجل) ومن الأشياء اللامعة: أيها تحب؟ العقود الزجاجية... العدسات؟

بابلو : (على شكل طبيعي) النجوم وعيون النساء.

أنخلينا : (تفيض فخراً) سجّل، يا أستاذ، سجّل!

لولو : أسمعت يا فيفي؟ أليس فاتناً؟

فيفي : إنه فاتن، متى نخرج إلى الحديقة؟

الأستاذ : بعدئذ، يا نينا، الآن، أنا بحاجة إليه؛ قل لي أي الكلمات تعجبك أكثر، الطويلة أم القصيرة؟

بابلو : القصيرة.

الأستاذ : كنت أقسمت على هذا! (يسجل) مع ميل إلى تكرار المقاطع. أليس كذلك؟

بابلو : لم أفهم.

الأستاذ : أعني كالأطفال الذين يسمّون ينبوعاً: "غلو-غلو" وجرساً "تان-تان"

بابلو : كلا! لم أسمع بهذا إلا هذه الليلة: "نعم: ما-ما -كلا، في- في- نعم: لو-لو"

ماتيلده : سجل، يا أستاذ، سجل.

لولو : (تنهض مهانة) هذه فظاظة!

خوليو : (يهرع إلى التدخل) مهلك يا سيدتي لا ينبغي أن تأخذي الأمر هذا المأخذ.

رولدان : أليس من الأفضل ترك هذا الإستجواب، وتناول العشاء بهدوء؟

الأستاذ : اهدأ، اهدأ... الشاب أجاب ببراءة.

لولو : بل قال ذلك بقصد كامل. أتدعه يشتمنا؟

فيفي : (تنهض أيضاً) هيّا بنا، يا أبي. العربة مكشوفة، والجنائني يقول إنها على وشك أن تمطر.

بابلو : نعم، يبدو لي أن عاصفة ستهبّ الليلة: (يرمي، وكأنه يلعب، بسكين كانت في يده. السكين تنغرز مرتجة في المنضدة)

الأستاذ : هل لكم أن تعملوا خيراً فتجلسوا جميعاً؟

رولدان : خير لك أن تدعه وشأنه، يا أستاذ. هذه نصيحة.

الأستاذ : سؤال واحد فقط. وهو الأخير والأدق. لكن، أتعدني بالأ تغضب؟

بابلو : (يحاول السيطرة على نفسه بشكل ملحوظ) أنا هادئ تمام الهدوء. قل (عاد المدعوون للجلوس. تسود لحظة صمت وترقب في السكون تسمع العمة أنخلينا تهدئ أعصابها في "غابات فيينا")

أنخلينا : ترا–رام ترا–رام... بام... بام.

بابلو : اتركي شتراوس، يا عمتي. قل. قل.

الأستاذ : أنت لا ريب، تشعر بمحبة كبيرة لجيادك وكلابك!

بابلو : أنا مغرم بها.

الأستاذ : بالطبع، إنها مفيدة لك. لكن، ألا تحس في قرارة نفسك، أحياناً بميل الأطفال لتعذيب الحيوانات بقسوة؟

بابلو : أنا أعذّب الحيوانات؟ أبداً. وها أنت ترى: حتى أسمح لبعضها أن تلقي عليّ أسئلة، وتكتب ملاحظات.

الأستاذ : (شاحباً) أينبغي أن أفسرّ هذه الكلمات على أنها إهانة؟

بابلو : آه! أتريدها أكثر وضوحاً؟ إذاً، تابع يا أستاذ، تابع!

ماتيلده : (تنهض مذعورة) لا يا بنيّ، لا. بهذا تجاوزت الحدود.

أنخلينا : (تنهض بدورها في تمرّد لا يُصدق على أختها البكر) اسكتي أنت! كِلْ له بكيله يا بابلو، كلْ له. (تنفجر الفضيحة. كلهم وقوف. وتتراكم التعليقات)

لولو : هذا لا يسكت عليه.

رولدان : اهدؤوا يا سادة. إنه عشاء عائلي.

لولو : أطلب منك اعتذار على الفور.

فيفي : عجباً يا أبي! حانت الساعة التي يبدأ فيها بالعواء.

خوليو : لكن، أتنبّهت لما قمت به؟

الأستاذ : (محاولاً فرض سيطرته) اهدؤوا، يا أصدقاء. باسم العلم اسكتوا جميعاً!

لولو : أتعرّض نفسك للخطر؟

الأستاذ : قلت: اسكتوا. ما تهمّ نوبة من الغضب؟ فالغضب هو ببساطة تفريغ للأدرينالين.

بابلو : (يستثار كل مرة أكثر) ما أروع هذا العلم! فالإنسان يبذل حياته في سبيل شيء جميل... أو يشيد كاتدرائية... أو يمجن بالحب... كل ذلك ليس شيئاً، أيها السادة. هو مجرد تفريغ للأدرينالين. وبأي شيء يُكافح الأدرينالين، يا أستاذ؟

الأستاذ : بالأنسولين، يا فتى. وإذا كان هناك خطر، فالبسكر.

بابلو : إذاً، قد نجونا بجلودنا. السكر للرجال الأحرار والأقوياء! السكر للكاتدرائيات والشعوب! مستقبل العالم يتوقف على السكر! (على صيحات بابلو، تظهر مارغا في السلم، مرتدية ثوب حفلة. تتأمل

بدهشة نهاية المشهد، وتهرع صوبه محاولة تهدئته)

المذكورون ومارغا.

مارغا : بابلو! عزيزي بابلو! اهدأ... اهدأ، من أجل مصلحتك!

بابلو : انظري هنا إلى ناس عالمك. أ إلى هذه القاذورات تريدين أن تقوديني؟

مارغا : لكن، ماذا صنعتم حتى دفعتموه إلى هذا الوضع؟

بابلو : انظري إليهم: يبدون رجالاً ونساء. لكن أحقاً هم كذلك. كلا! هم دمى من الخزف. فرقة للبكاء، وفرقة للضحك وثالثة للتحية. (يؤدي التحية بحركات مهرّج إيطالي) بونجور موسيو، بونسوار مدام!

مارغا : لا أفهم ما جرى هنا أبداً. لكن، انسحبوا جميعاً، أرجوكم!

بابلو : سيكون أفضل... أمر مخجل!

بابلو : (يوقفهم) انتبهوا إليّ! الم تأتوا إلى السيرك لتتمتعوا برؤية الإنسان البهيمة؟ إذاً تشجّعوا! الحفلة ستبدأ عما قريب. لكن البهيمة هي التي ستقود الحفلة الآن! (يتناول جرساً صغيراً من الصوان وهو ينادي صارخاً) إوسوبيو! إوسوبيو!

مارغا : (تتشبثّ به معانقةً) بأغلى ما تحب يا بابلو!
(يبعدها بعنف ويهزّ الجرس مقلداً أصوات وحركات مهرّج في المعرض)

بابلو : افلتيني! ادخلوا، يا سادة، ادخلوا. هذه الليلة عندنا مجموعة من (النمر)
(مشيراً إليهم واحداً فواحداً)
الأستاذ اللامع
لا فكرة واحدة لديه.
إلا من الكتب حواليه
(دقة جرس)
الأم المزواجة
من الداخل قوّادة
ومن الخارج محترمة
(دقة جرس)
الأميرة الصغيرة فيفي
أنذهب إلى الحديقة؟ خي!خي!
أتريدين القمر؟ خي! خي!
أتريدين عريساً؟ آي. سي! سي!
(دقة جرس)
والآن! إليكم .... التالية:
رولدان: المدير

رولدان: المحامي والمستشار
رولدان: المزوّر
ادخلوا يا ستادة! ادخلوا لتروا قصة علي بابا الجميلة والأربعين من آل رولدان!

خوليو : (متقدماً) كفى يا بابلو، ولا كلمة أُخرى!

بابلو : (يدق الجرس بإشارة تحدّ) والآن، حان الوقت! أخيراً، عثرنا على رجل هنا! عجلّوا! ألا ترون إني بحاجة إلى رجل يجيبني؟ فوراً! (يتقدم خوليو خطوة. مارغا تعترضه)

مارغا : قف عندك! في هذه اللحظة، أنا الوحيدة القادرة على التحدث إليه!

رولدان : دعه! هو خارج عن طوره. (ينقهقر مع الأب)

بابلو : للأسف! كنت أظن أني سأعثر على رجل هنا. لكنه كان إنذاراً كاذباً. انظري إليهم يا مارغا! كلهم دمى من الخرق والكرتون. لكنهم لن يجرّوني إلى عالمهم السكري.
(يعود فينادي صارخاً) إوسيبيو! إوسيبيو!

المذكورون وإوسيبيو.

إوسيبيو : (يظهر لحظة من باب الحديقة) سيدي..؟

بابلو : أسرج لي حصانين فوراً! (يخرج إوسيبيو) وأنتم اخرجوا. وإذا وجدتكم هنا بعد نزولي،

سأطردكم بالسياط! أريد بيتي نظيفاً!
(يتجه صوب السلم وهو ينزع بزة "السموكينغ")
اخرجوا من هنا، أيتها القاذورات!
اخرجوا... (يصعد مهرولاً)

مارغا : آسفة لهذا المشهد، يا سادة! وأنا أعتذر إليكم نيابة عنه.

لولو : بعد فوات الأوان بكثير، أهنئك على هذا التلميذ: هيا بنا يا أوغستو!

فيفي : ما كان ينبغي لنا أن نأتي إلى بيت المجانين هذا!

رولدان : كان لا بد أن يحدث، ما حدث ذات يوم. إنه إرث من الأب.

خوليو : سجّل يا دكتور: نعم، هذه فكرة جديرة بالاهتمام.

ماتيلده : الخطأ خطؤكم، لمّا أردتم أن تسخروا منه.

أنخلينا : اعذره. من المؤكد أنه شرب وهو غير معتاد على الشرب.

الأستاذ : من العبث الاعتذار. في حال وجود بهيمة من هذا النوع في بيت، يحجر عليها. هيّا بنا. (يأخذون بالخروج)

مارغا : شيّعيهم يا ماتيلده، وكذلك أنت يا أنخلينا.

دعوني معه لوحدي. (يخرجون جميعاً وسط احتجاج وصيحات استنكار تختلط ببعضها. مارغا تنتظر لحظة حتى رأتهم قد خرجوا ثم تهرب صوت السلم. خوليو الذي ظل متنحياً يسدّ عليها الطريق)

مارغا وخوليو.

خوليو : لحظة! أولاً، يوجد أمر علينا أن نحلّه أنت وأنا

مارغا : ولماذا؟ لم يعد يهمنّي شيء مما قد تقوله لي.

خوليو : وما يمكنني أن أقوله له؟

مارغا : ولا هذا أيضاً. إذا كانت هي الرسالة التي تنتصر بها، فقد أخطأت اللعبة.

خوليو : أتنكرين أنك لستِ مغرمة بهذا الرجل؟

مارغا : بروحي ودمي كليهما معاً!

خوليو : أولاً تخشين من فقدانه؟ أم أنك تحسبين، أني سأسكت كما في المرة السابقة؟

مارغا : لست بحاجة إلى أن تقول شيئاً. كل ما ينبغي لبابلو أن يعرفه، سأقوله له فوراً.

خوليو : لا أصدّقك. قلت لي أيضاً إنك غير قادرة على الكذب. فماذا عملتِ كل هذا الوقت؟

مارغا : شيئاً لم أعمله أبداً حتى الآن: أن أكون سعيدة!

خوليو : يمكنك أن تظلي سعيدة، إن أردت. أولاً، فالأجل المعطى لك ينتهي هذه الليلة.

مارغا : أعرف ذلك. كنت أنتظره بخوف يوماً فيوماً. لكن، كان جميلاً جداً أن أغمُض عينيَّ وأطيل مدى كل دقيقة حلوة... كطفل فقير يقضم قليلاً قليلاً كسرة من الخبز الطري!

خوليو : وغداً؟

مارغا : الغد لا يهمّني. وعلى فقدان هذا الخبز أنا معتادة.

خوليو : فكري بالأمر جيّداً. وإذا رفضت مساعدتي يبقى أمامي طريق واحد فقط.. ويمكنني أن ألحق بيابلو ضرراً أسوأ مما تتخيّلين.

مارغا : أسوأ من أن تفرّق بيننا إلى الأبد؟

خوليو : أسوأ بكثير. هذه النوبة من الغضب الجنوني لا تدع مجالاً للشك. الأستاذ يمكن أن يكون شاهداً ممتازاً أمام المحاكم.

مارغا : (تتنهقر مذعورة) ماذا تعني بقولك؟

خوليو : أعني ما تفكرين به تماماً.

مارغا : لا!

خوليو : بعد عشرين عاماً قضاها بصحبة أب مجنون. أترين من الصعب الحجرْ على رجل يتحدّث إلى الطيور ويرى الله في البروق.

مارغا : كلا! هذا ما لن تحصل عليه ما دامت فيّ قدرة

على الصراخ!

خوليو : ولِمَ لا تتكرّر معه قصة الأب؟ ألم تتكرر معكِ قصة الأم؟

مارغا : سافل! (ترفع يدها متحفزّة للكلمة على فمه. يوقفها بقوّة ويسيطر عليها حتى يكاد يعانقها)

خوليو : الحل بيدك. قرّري يا مارغا! قرري الآن (يظهر بابلو في السلّم، لابساً حذاء الركوب ويرتدي سترته، وعند رؤيته لهما هكذا يهبط بقفزة واحدة)

مارغا وخوليو وبابلو.

بابلو : أنت لا تزال هنا؟ وتضع يديك الملوّثتين على هذه المرأة؟ (يمسك بسيخ المدفأة الحديدي، ويتقدّم مهدداً) وما هذا الشيء الذي يجب على مارغا أن تقرره؟ تكلم!

مارغا : كلا، يا بابلو! بحياتك!

بابلو : تكلم، أقول لك!

خوليو : ما أنا الذي يجب أن يتكلّم. وإنما هي. أليس صحيحاً يا مارغا؟

مارغا : نعم، يا خوليو. أنا سأقول لك، لكن، اخرج أنت، قبل أن يفوتنا الوقت جميعاً.

خوليو : استمع إليها جيداً. إنها قصة قديمة قليلاً. لكنها ستهمك كثيراً. وداعاً! (يخرج)

مارغا وبابلو.

بابلو : لماذا حميت عن هذا الرجل بجسمك؟

مارغا : ليس من أجله، وإنما من أجلك. لأني رأيتك تحمل الموت بين عينيك.

بابلو : وهذه القصة القديمة الهامة جداً؟

مارغا : استمع إليّ يا بابلو! أقسم لك إني أبذل حياتي لأجنبك الضرر الذي قد تلقاه مني. لكنني لا أريد أن تبقى بيننا كذبة واحدة، ولا صمت. هذا الرجل كان عشيقي ذات يوم. (يترنّح بابلو كمن يتلقّى لكمة. يسقط سيخ الحديد من يديه يتأخر رد فعله لحظة وكأنه لا يستطيع أن يفهم)

بابلو : ماذا قلتِ؟ لا... مستحيل أن أكون سمعت جيداً.

مارغا : أفهم موقفك يا عزيزتي. وأنا يبدو لي صعباً أيضاً. لكن هذا الرجل الذي لا يثير فيّ إلا الاحتقار... هذا الرجل كان عشيقي.

بابلو : (متجهماً) لا، يا مارغا! قولي إن الشمس لن تطلع غداً... قولي إن العالم سينفجر في هذه اللحظة. سأصدق كل ما تقولين إلا هذا!

مارغا : ماذا يفيد السكوت؟ فلا بد من أن تعرف ذات يوم. والأفضل أن أقوله لك أنا فعلى الأقل يكون

أوضح.

بابلو : إذاً، الأمر صحيح؟ أنت التي كنت لا أستطيع أن أقبلّها دون أن أرتعد من رأسي إلى أخمص قدمي! أنت القديسة، الوحيدة... أنت أيضاً؟

مارغا : نعم يا عزيزتي. لسوء الحظ أنا أيضاً.

بابلو : وتجرئين على قول ذلك؟ وتواجهينني ناظرة إليّ!

مارغا : لا أجد ما يدعوني لأغضّ بصري. يؤلمني كما يؤلمك. لكنني لا أشعر أني مذنبة. لذلك لا أطلب منك الصفح.

بابلو : لا بأس! (يتحدث دون أن ينظر إليها) إذاً، لست بحاجة إلى حصانين، حصان واحد يكفيني.

مارغا : كان ذلك منذ سنين، حين كنت لا أزال طالبة وأعيش وحدة خانقة.

بابلو : (بتشنج) كفى! أطلبت منك توضيحاً؟

مارغا : هو ليس توضيحاً وإنما وداع.

بابلو : بإمكاني أن أوّفره عليك، عيون زرق أم خضر. أديلائيدا! أم مارغا ما هي النتيجة؟ كلكن سواء في العمل لتدمير الرجل.

مارغا : أيمكنك الاستماع إليّ لحظة واحدة؟

بابلو : ولأي شيء؟ كل ما بيننا قيل وأنتهى. و ها هو

الباب دونك!

مارغا : لست بحاجة لتطردني بالسياط كما يُطرد الكلب. لقد حزمت أمتعتي.

بابلو : ماذا تنتظرين إذاً؟

مارغا : أريد فقط أن أقول لك وداعاً. لكن دون أحقاد؛ وأضع يدي في يدك.

بابلو : لا تضيعي وقتك سدى. أسرعي، خوليو لا يزال غير بعيد من هنا! وما زلت تستطيعين اللحاق به.

مارغا : (ترد مجروحة) هذا لن يكون. ابتعد عني إن كنت غير قادر على الفهم. لكن، ليس من حقك أن تشتمني.

بابلو : اخرجي، قلت لك، ألم تسمعي؟ أريد بيتي نظيفاً.

مارغا : (بقوة متصاعدة) أولاً، عليك أن تستمع لي بإحترام دون صراخ، ودون سياط. لأنك في هذه اللحظة أصغر مني بما لا يقاس. أنت صغير جداً تثير الشفقة فيّ يا بابلو الشفقة والخجل.

بابلو : إذاً، أنا من يجب عليه أن يخجل؟

مارغا : نعم، أنت! الرجل القوي، الرجل الحر، الرجل الطاهر!... كل ما كان يثير إعجابي بك دمرته

في هذه اللحظة. فماذا تفيدك قوتك الحيوانية؟ لتحطيم امرأة بائسة! ماذا تفيدك حريتك؟ لتنفي حريتي! وطهرك المشهور، أين هو؟ انظر ما أنت عليه الآن: في أبشع صورة، نصف متوحش ونصف دمية بكل الغرائز التي جلبتها من الجبل وكل المساوئ الحمقاء التي اكتسبتها هنا.

بابلو : هذا ما صنعته مني. يمكنك أن تكوني فخورة بعملك.

مارغا : هو الشيء الوحيد الذي نطقت به صواباً. أردت أن أهبك روحاً كبيرة بحجم قوتك. لم أعرف صنعها. كنت أحزن إخفاق في حياتي. على كل حال، إن وجد شخص هنا مدين لي فهو أنت.

بابلو : (بقسوة) أنا لا أريد أن أكون مديناً بشيء لأحد. إن كنت تظنّين بوجود حساب معلّق مرّي على الإدارة.

مارغا : ماكنت أتوقع هذا. إنها ضربة خسيسة، لا تليق بك. لكن، إن أردت إلحاق الأذى بي حتى النهاية، فلم تعمل إلا القليل بعد. ولما لا تأمر تفتيش أمتعتي كما يصنع بالخادمات السارقات؟ انظر إن كنت أخفيت شيئاً؟ هل عددت جواهر العائلة والآنية الفضية؟

بابلو : لا يهمّني أن تحمليه معك. لقد تعوّدت أن يسرقني الجميع.

مارغا : أحقاً؟ إذاً، عدّ قطرات دمك لترى إن كان ينقص منها شيء، لأني أحمل خير ما في بيتك. أحمل طفلاً!

بابلو : (يلتفت بعنف) طفل؟ طفل مني...؟

مارغا : بأي حقّ تسميه طفلك؟ أنت لم تضع فيه إلا الغريزة. أما الإرادة فقد وضعتها أنا؛ وهي الشيء الوحيد الذي أملكه، ولا يستطيع أحد أن يسلبنيها. وشكراً لك لأجله! (تهم بالخروج. يسد بابلو عليها الطريق)

بابلو : قفي عندك! أتظنين أنك ستجذبينني إليك بهذا الرباط؟

مارغا : دعني أمر!

بابلو : كلا! لن تخرجي الآن حتى تضعيه. بعد ذلك اذهبي حيث شئت. لكن سترحلين وحدك. (يبعدها بعنف) والقصة تعيد نفسها: أنتِ إلى عالم العرائس والدمى، وأنا وابني إلى الجبل.

مارغا : (بنشوة الحمى) هذا لن يحصل أبداً. ابني سيكون أكبر عمل في حياتي، بكل الجانب الحسن فيك، والجانب الحسن فيّ. لن يكون حيواناً ولا دمية.

سيكون إنساناً بالأبعاد الصحيحة للإنسان أتسمعني؟ وأخيراً، أريد أن أكون أم إنسان حقيقي إنسان كامل... إنسان! (ترتخي ركبتاها... يسندها بابلو)

بابلو : مارغا..! مارغا...! (مارغا يغشى عليها، يحملها بين ذراعيه ويضعها في مقعد قرب المدفأة) لم أكن أدري ما أقول. (يركع عند قدميها. ويقبل يديها) ما كنت أستطيع تقبّل فكرة أن يلمس رجل آخر شعرة واحدة من شعرك الذي كان غايتي الوحيدة. أفيقي يا مارغا! انظري إليّ باحتقار، لكن، دعيني أرى عينيكِ. اشتميني إن شئت، لكن، دعيني أسمع صوتك! مارغا!... مارغا...! مارغا! (مارغا تظل ساكنة. تطفأ الأضواء كلها فجأة ما عدا شمعدانين، وانعكاس النار. ،تبّة هواء تحرك الستائر. أخذ بابلو يحس بالخوف الحيواني من اللامرئي الذي زعزع طفولته في الجبل) لكن، ماذا يعني هذا؟ هاتان اليدان الساكنتان... هاتان العينان الخاليتان من النظر... أي بردٍ تسلّل هنا في الظلام! (ينهض مرتعداً ويقف إزاءها ليغطيها بجسده) لا: لا للموت. أبذل حياتي كلها من أجل لحظة واحدة من حياتها. أو نموت معاً! لكن. لا تتركني وحيداً مرة أخرى، لأني سأقتل نفسي

هنا، إلى جانبها! لن أكون وحيداً بعد أن تعرّفت عليها. لن أكون وحيداً أبداً. (حينئذ ينفجر رعد، ويخفق برق خاطف من الحديقة، بابلو يقف مبهوراً إزاء ومضة الضوء) شكراً، يا الله... شكراً. (مارغا تعود إلى وعيها ببطء)

مارغا : بابلو، عزيزي... (بابلو يهرع مرة أخرى عند قدميها)

بابلو : أنا هنان يا مارغا... أنا معك دائماً.

مارغا : لكن، لا تتركني على هذا الوضع... أنا لا أقوى على شيء. أحس كأنني أموت.

بابلو : لا تخافي لن يجرؤ الموت على الاقتراب منك، لأن الحياة تسري الآن في داخلك. الله معنا... وهذه الكلمة التي لم تقوليها لي أبداً!

مارغا :(تضمه بعنف لطيف إلى حضنها وتداعب رأسه المهزوم) الحب... الحب... الحب. (ستار)

ختام.

❖❖

الفهرس

❖

رقم الإيداع في مكتبة الأسد الوطنية:

الكلمة الثالثة : مسرحية في ثلاثة فصول / تأليف أليخاندرو كاسونا؛ ترجمة علي أشقر- دمشق اتحاد الكتاب العرب، ١٩٩٧- ١٤٩ ص؛ ٢٠سم.

١- ٨٦٢ س ك ا س ك   ٢- العنوان

٣- كاسونا   ٤- أشقر

ع/ ٢٠٩٣/ ١٢/ ٩٧   مكتبة الأسد

اتحاد الكتاب العرب
ARAB WRITERS UNION
DAMASCUS دمشق